جامعة النجاح الوطنية

كليّة الدراسات العليا

البحث اللغوي بين "محمّد إسعاف النّشاشيبي" و"إسحاق موسى الحسيني"

دراسة في (الأصالة والمعاصرة)

إعداد

أسيد جميل محمود أبوريدي

إشراف

أ. د . أحمد حسن حامد

قدِّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس – فلسطين

2016 م

البحث اللغوي بين "محمّد إسعاف النّشاشيبي" و"إسحاق موسى الحسيني"

دراسة في (الأصالة والمعاصرة)

إعداد

أسيد جميل محمود أبوريدي

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 20 / 7 / 2016م واجيزت.

لجنة المناقشة		التواقيع
أ. د. أحمد حامد	/ مشرفاً ورئيساً	.....
أ. د . حسن السلوادي	/ ممتحناً خارجياً	.....
د. سعيد شواهنة	/ ممتحناً داخلياً	.....

إهداء

إلى مَن لَهُ فَضْلٌ علَيّ، أُمّي وأبي

إلى إخْوَتي وأخَواتِي

إلى أسَاتِذَتي

إلى أولئكَ الذين يُضَحّونَ كَي يَعودَ مجدُ دينِ محمّدٍ ولُغةِ محمّدٍ وأدَبِ محمّدٍ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أُهْدِي هَذَا البَحْثَ

شُكر وتقدير

إنّني أحمد الله وأشكره سبحانه وتعالى، الذي أعانني على إتمام هذه الرّسالة، حتّى جاءت على هذه الصّورة، التي أتمنّى أن تنال رضا القارئ.

ويطيب لي في هذا المقام أن أرد الفضل إلى أهله، والإحسان إلى ذويه، فأتقدم بجزيل شكري وتقديري وعظيم امتناني إلى أستاذي الفاضل، الأستاذ الدّكتور أحمد حسن حامد، الذي أسبغ عليّ من كريم خصاله فأشرف على هذه الرّسالة، ووجّه وصوّب حتى رأت النور، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدّم بجزيل الشّكر إلى عضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور حسن السلوادي والدكتور سعيد شواهنة، اللذين تفضلا بمناقشة هذه الرسالة وتقويمها.

والشكر غير مقطوع لأبي وأمي حفظهما الله، اللّذَين قدّما كلّ شيء، والشكر الموفور لإخوتي وأخواتي على دعمهم لي.

وأقدّم شكري وتقديري لكلّ من ساعدني حتّى خرجت هذه الدّراسة، الأخت مريم سعيد في كلّية الدّراسات العليا – قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية، والإخوة العاملين في مكتبة جامعة النجاح الوطنية، ومكتبة بلديّة البيرة.

الإقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

البحث اللغوي بين "محمّد إسعاف النّشاشيبي" و"إسحاق موسى الحسيني"

دراسة في (الأصالة والمعاصرة)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Night and day in the Holy Quran

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	أ سيد جميل أبو ريدي	**اسم الطالب:**
Signature:	أ	**التوقيع:**
Date:	٢٠/٧/ ٢٠١٦	**التاريخ:**

فهرس المحتويات

الموضـــــــوع	الصّفحة
الإهداء	ت
الشّكر والتّقدير	ث
الإقرار	ج
فهرس المحتويات	ح
الملخّص	ذ
المقدّمة	1
التّمهيد: حياة النشاشيبي والحسيني العلميّة	7
الفصل الأول: البحث اللغوي عند النّشاشيبي	19
أولا: المصادر المكونة للمنهج اللغوي عند النشاشيبي	20
ثانيا: آراؤه في القضايا اللغوية	23
اللغة عند النشاشيبي	23
العربية بين القديم والجديد	27
الدعوة إلى العامية واللاتينية	34
تيسير النحو	38
ألفاظ العربية	41
ثالثا: استدراكه اللغوي	44
الفصل الثاني: البحث اللغوي عند الحسيني	51
أولا: المصادر المكونة للمنهج اللغوي عند الحسيني	52
ثانيا: آراؤه في القضايا اللغوية	57

اللغة عند الحسيني	57
الأسلوب اللغوي	62
العامية والفصحى	65
الحروف العربية والحروف اللاتينية	68
الاختصار	73
التعريب	75
خصائص اللغة العربية	80
ثالثا: آراؤه في الأصوات والنحو والعروض	83
الفصل الثالث: الاختلاف والالتقاء بين النشاشيبي والحسيني في ضوء الأصالة والمعاصرة	93
أولا: الاختلاف بين النشاشيبي والحسيني	94
في الأسلوب	95
في اللفظ والمعنى	99
في الحرف العربي	100
في تيسير النحو	103
في المنهج التعليمي	104
ثانيًا: الالتقاء بين النشاشيبي والحسيني.	107
في الدّفاع عن العربيّة	109
في رفض الدّعوة إلى العامية	110
في رفض الكتابة باللاتينية	111
في تيسير النحو	111

الخاتمة	113
قائمة المصادر والمراجع	116
Abstract	B

البحث اللغوي بين محمّد إسعاف النّشاشيبي وإسحاق موسى الحسيني

دراسة في (الأصالة والمعاصرة)

إعداد

أسيد جميل محمود أبو ريدي

إشراف

أ.د . أحمد حسن حامد

المُلخّص

تعرضت هذه الدّراسة للمنهج اللغوي عند محمد إسعاف النّشاشيبي وإسحاق موسى الحسيني من خلال دراسة تقابليّة بين حياتهما، وثقافتهما العلمية، وبحثهما اللغوي، وما نتج عنهما من أسفار لغوية، فاقتضت الدّراسة بذلك أن تشمل مقدّمة، وتمهيدًا، وثلاثة فصول، وخاتمة.

وقد بيّن الباحث في المقدّمة اهتمام العرب القدماء والمحدثين بالبحث اللغوي، وتطوره، وصولًا إلى العصر الحديث، الذي تمثل بظهور مدرستين لغويتين، إحداهما سعت لإحياء التراث ببعثه من جديد، وأخرى تأثرت بالثقافة الغربية فعملت على التجديد، وأشار الباحث فيها إلى أهميّة الدّراسة، وعرض مناهج البحث التي اعتمدها، ومحتويات الدّراسة، وأهم الدّراسات السّابقة، والصّعوبات التي واجهته.

أمّا التّمهيد الذي حمل عنوان (حياة النشاشيبي والحسيني العلمية)، فأفرده الباحث للحديث عن الحياة العلمية للنشاشيبي والحسيني، منذ النشأة حتى الوفاة، مبيّنًا أثر هذه الحياة في توجيه فكرهما اللغوي نحو مدرستي الأصالة والمعاصرة، وعرض فيه أبرز نتاجهما العلمي.

وتناول الباحث في الفصل الأول البحث اللغوي عند النّشاشيبي، وجاء فيه على مصادره اللغوية التي وجّهته نحو مدرسة القديم، وآرائه اللغويّة التي أبرزت منهجه الأصولي، ورفضه لدعاة مدرسة التجديد، ثم عرض نظرته ومفهومه للّغة، ورأيه في القديم والجديد، وموقفه من الدعوة إلى العامية والحروف اللاتينية، وكذلك رأيه في تيسير النحو، ونقده اللغوي للكتّاب والأدباء، وكلّ هذا كان في ضوء الأصالة اللغوية التي آمن بها النّشاشيبي.

وجاء الباحث في الفصل الثاني على البحث اللغوي عند الحسيني، عارضًا مصادره اللغوية التي حدّدت منهجه اللغوي الدّاعي إلى التّجديد، وتناول اللغة عنده، وأسلوبه اللغوي، الذي ناقض أسلوب المحافظين، ورأيه بمشكلة العامية والفصحى وأسبابها، وموقفه من الدعوة إلى الكتابة باللاتينية، ورفضه لها، ونظرته للاختصار والتعريب، وجاء على خصائص اللغة العربية عنده، وآرائه اللغوية في الأصوات والنحو والعروض، وكان ذلك في ضوء المعاصرة ودعوة التجديد التي تبناها الحسيني.

وأما في الفصل الثالث، فوقف الباحث على نقاط الاختلاف والالتقاء بين النشاشيبي والحسيني في ضوء فكرهما اللغوي، المتمثل بالقديم والجديد، فعرض اختلافهما في الأسلوب اللغوي، والنّظرة إلى قضيّة اللفظ والمعنى، وقضيّة الحرف العربي ومشكلته، واختلافهما في منهجهما التعليمي، ودعوة تيسير النحو، أما نقاط الالتقاء التي وقف عندها الباحث فتمثّلت في دفاعهما عن العربية، ورفضهما للدعوة إلى العامية والحروف اللاتينية، وفي جانب من قضيّة تيسير النحو العربي.

وتناول الباحث في الخاتمة أهم النتائج التي توصّلت إليها هذه الدّراسة.

المقدّمة

الحمد لله المتفرّد بالجلال وصفات الكمال، الذي بيده كلّ النّعم والأفضال، والذي أنزل القرآن كلامًا مؤلفًا منظّمًا مدبّرًا محكمًا فأعجز به الأناسي والجنان، في كلّ زمان ومكان، وفيه كرّم العربيّة وشرّفها بأن اختارها واصطفاها من سائر اللغات والأصوات، فقال: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"[1]، وصلى الله وسلّم على عبد ورسوله المصطفى من خُلاصة العرب العَرباء من الصميم، خاتم الأنبياء والمرسلين، وأفصح من تكلّم بالضاد، فنسخ ببلاغته كلّ عالم للعربيّة مرتاد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أمّا بَعْدُ، فقد اهْتَمَّ العَرَبُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا بِدِرَاسَةِ لُغتِهِم العَرَبِيَّةِ وعُلُومِهَا، إِذْ تَجَلَّى ذلكَ بسعيهِم الحَثِيثِ لِدِرَاسَتِها، فَكَانُوا سَبّاقِينَ فِي ذَلِكَ لمَّا كَانَ الدِّينُ الإِسْلَامِيُ أَصْلًا مِنْ أُصُولِها، فَاعْتَنَقُوهُ عَقِيدَةً فِي عِبَادَتِهِم، وَآمَنُوا بِهِ دِينًا فِي حَيَاتِهِم، وَمِنْ أَجْلِهِ عَكَفُوا، وَحِفَاظًا عَلَيْهِ بَحَثُوا وَنَظَمُوا، وَلَمَّا كَانَتِ العَرَبِيَّةُ رِكْزًا يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا هَذَا الدِّينُ، وَلَمَّا كَانَ تَأْثِيرُهَا فِي المَسَائِلِ الأُصُولِيَّةِ مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى الدَّارِسِينَ، فَقَدِ اهْتَمُّوا فِي كَشْفِ مَظَانِّهَا، وَسَبْرِ غَوَارِهَا، وَإِبْرَازِ مَا انْمَازَتْ بِهِ عَنْ غَيْرِهَا، إِذِ اهْتَمُّوا بِهَا اهْتِمَامًا عَظِيمًا، وَبَحَثُوا فِيهَا بَحْثًا دَقِيقًا، فَكَثُرَتْ تَصَانِيفُهُم، وَتَعَدَّدَتْ مُؤَلَّفَاتُهُم، رَغْمَ اخْتِلَافِ طُرُقِهِم وَتَنَوُّعِ مَنَاهِجِهِم، فَتَنَاوَلُوا فِي دِرَاسَاتِهِم صَمِيمَ اللُّغَةِ وَعُمْقَهَا، وتنبّهوا لصغائرها وكبائرها، وظواهرها وشواردها.

وقد بدأ اهتمام العرب بالبحث اللغوي منذ القرن الثاني الهجري، فكانت قضية اللحن في اللغة باعثًا لهم للولوج في علوم اللغة وتدارسها، والبحث فيها والتنقيب عنها، وبلغ العرب القدماء في بحثهم اللغوي حتى القرن الخامس الهجري مبلغًا عظيما، فتناولوا في اللغة أصواتها ونحوها وصرفها، وتوسّعوا في القضايا اللغوية حتى بلغوا شأوًا بعيد المدى، بقي أثره حاضرًا في كلّ العصور الزمنية التي تبعتهم، وظلّ اللغويون في ذلك متّفقين حينًا ومختلفين أحيانًا، واستمروا في بحثهم بعد العصور الذهبية للغة العربية، غير أنه لم يكن كحاله في العصور العسجدية، وبقيت العربية على هذا الحال، تضعف وتقوى إلى أن وصلت إلى العصر الحديث، فنهضت البلاد

(1) سورة يوسف: آية 2

العربية، بعد ضعف أصابها من السّيطرة التركية، ونهض إثرَها الأدباء والدّارسون، يبحثون في اللغة ويكتبون، بتراثهم متأصلين أو متأثرين بالمستشرقين، الذين سبقوا العرب في نهضتهم الفكرية، وحياتهم العصرية.

وفي ظل تقدم الدراسات اللغوية الحديثة، بمناهجها وأساليبها العديدة، ظهر الدارسون بألوية مختلفة، فمنهم من حمل لواء الأصالة وولج موْلِجَ الأصوليين من الرعيل الأول من اللغويين، فتشبثوا بالتراث اللغوي، وآمنوا أنه الطريق إلى السّمو، وبه تكون الرّيادة في اللغة، ومن خلاله. هذا وسار ثلّة أخرى في مسار آخر، حملوا به لواء المعاصرة؛ معاصرة اللغة بما يتناسب مع التّغيّر الحياتي، وقد رفعوا شعار التجديد، والرقي باللغة بعيدًا عن الحشو والتعقيد، والعمل على مواكبة العصر ومعايشته فلكل عصر عصريته، وبذلك فإنّ التغيير هو مقصد واضح يجب الغوص فيه.

وممن سار في هذين المنهجين علمان من أعلام اللغة في فلسطين، وهما محمد إسعاف النشاشيبي وإسحاق موسى الحسيني، وهما فلسطينيان مقدسيان، كرس كل منهما جهده خدمة للعربية، على الرّغم من اختلافهما في طريقة عرضهما للمادة اللغوية، فقد حمل النشاشيبي لواء الأصالة واعتزّ بالقديم، وأدرك أهميّة بلوغ مبلغ الأصوليين، وقد كافح ونافح في سبيل هذا الأمر، وأثّر هذا في توجيهه نحو الأدب القديم، والعناية بمصادره النادرة في ذلك الحين، وحَمَل على كل محاوت أن لكل عصر لغة، ورأى أنّنا كلّما ابتعدنا عن زمان القرآن ابتعدنا عن جمال تلك اللغة المُضرية العربية، وقد كتب وخطب في اللغة ما بيّن مذهبه وأظهر معدنه[1].

مقابل ذلك سار إسحاق موسى الحسيني في طريق المعاصرة، ودعا إلى معاصرة اللغة والبعد عن التعقيد، وقد تبنى فكرة تجديد اللغة وتطويرها؛ حتى تجاري الحضارة الحديثة، وتساير روح العصر، فدعا إلى إعادة النظر في قضايا اللغة، وظهرت دعواه هذه واضحة جليّة يدعو فيها إلى لغة عصرية وقد أثبت ذلك في أبحاثه المنشورة في مجامع اللغة وخطّها في كتابيه (قضايا عربية معاصرة) و(في الأدب العربي الحديث).

(1) ينظر: النشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في العربية**، القدس، مطبعة بيت المقدس، 1925م، ص56.

ومن هنا، سيتناول الباحث في هذه الدراسة البحث اللغوي لهاتين الشخصيّتين، وجهودهما اللغوية في ضوء الأصالة والمعاصرة، باحثًا ومستقصيًا منهجهما من خلال نتاجهما الأدبي، وفكرهما اللغوي، وسيعرض الباحث لحياة محمد إسعاف النشاشيبي وإسحاق موسى الحسيني العلمية، وأثرها في توجيه فكرهما اللغوي، وستطال الدّراسة ثلاثة مواضيع أساسية، وهي: البحث اللغوي عند النشاشيبي، والبحث اللغوي عند الحسيني، ودراسة موازنة بين الرجلين في ضوء الأصالة والمعاصرة.

وبذلك، يمكن تحديد مشكلة البحث في الجهود اللغوية التي قام بها كل من محمد إسعاف النشاشيبي وإسحاق موسى الحسيني، وأسلوب كل منهما في تناوله للبحث اللغوي، فهل مثّل النشاشيبي في تناوله اللغة الأسلوب الأصولي القديم مائلا إلى أصول اللغة رافضا ما طالب به البعض من تغيير وتعديل في طريقة عرض اللغة وعلومها؟، وما موقفه من القضايا اللغوية الطارئة على العربية؟، وفي المقابل، هل كان الحسيني في أسلوبه يميل إلى التيسير والتسهيل، ذاهبا مذهب المحدثين من اللغويين، الذين دعوا إلى تيسير العربية ومواكبة العصر؟ وهل برزت دعوة التجديد عنده؟، وهل رفض الحسيني منهج المحافظين؟.

وتبرز أهمية الدّراسة في أنّها تلقي الضوء على علمين من أعلام اللغة في فلسطين، وتتناولهما في دراسة تقوم على التوازي والتقابل، يُكشف فيها عن جهودهما اللغوية في إحياء اللغة العربية، كما تتجلّى أهميتها في كون قضيتي الأصالة والمعاصرة من القضايا المهمة التي اهتم بها الدارسون، وتتمثل أهميتها في تناول هاتين القضيتين من خلال لغويّين فلسطينيّين.

إن هذه الدّراسة ترصد البحث اللغوي عند النشاشيبي والحسيني في جميع تراثهما اللغوي الذي استطاع الباحث الوصول إليه، مع الموازنة والمقابلة بين منهجهما وفكرهما اللغوي، وبذلك اتّبع الباحث في هذه الدّراسة المناهج البحثيّة الآتية:

- المنهج الاستقرائي: وأذهب به إلى استخراج القضايا اللغوية التي تناولها الرجلان في موروثهما اللغوي والأدبي.

- المنهج الوصفي: حين أصف القضايا اللغوية التي عرضها الرجلان، وأجمع المعلومات ذات العلاقة.
- المنهج التاريخي: أرصد من خلاله تاريخ بعض القضايا اللغوية التي برزت عند الرجلين، باستحضارها من ماضيها إلى حاضرها.
- المنهج التقابلي: ومن خلاله أقابل بين المنهج اللغوي عند الرجلين، وأكشف نقاط الاختلاف والالتقاء بينهما.
- المنهج التحليلي: وأعتمده في تحليل القضايا اللغوية عندهما، والاختلاف والالتقاء بينهما.

لقد طالع الباحث عشرات الكتب والصّحف والمجلات والمواقع الإلكترونية التي كتبت عن النشاشيبي والحسيني، علّه يعثر على كتاب أو بحث تخصص في الكشف عن كامل البحث اللغوي عند النشاشيبي أو الحسيني، إلا أنه لم يجد إلى ذلك سبيلا، وعلاوة على ذلك، لم يجد أي دراسة موازنة ومقابلة بينهما، وكل ما عثر عليه الباحث من دراسات في الجانب اللغوي عند الرجلين، ليست إلا شذرات ومقتطفات في بعض الكتب والمجلات أو مجرد بحث ينهض لغير ما قصده في هذه الدّراسة، ومن ذلك:

- **إسعاف النشاشيبي اللغوي، ليحيى جبر، 1994م.**

وهو بحث منشور في كتاب (**أبحاث عن أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، عصره، حياته، أدبه وفكره**)، وفيه لم ينهض الباحث ما قصدته هذه الدّراسة فلم يخصّه على الجانب اللغوي بل جاء على حياته وشاعريته وثقافته والتربية عنده وما جاء فيه على اللغة كان عرضًا لتراثه اللغوي وبعض مواقفه في اللغة والاصطلاحات التي كان يستخدمها وهذا لم يتعدّ بضع صفحات.

- **إسحاق موسى الحسيني سيرته وآثاره، لجميلة أبو لبن، 2001م.**

عرضت الباحثة جزءا بسيطًا للجانب اللغوي عند الحسيني، وقد جاءت بنتف من آرائه في بعض القضايا اللغوية التي ظهرت عنده، دون التعريج على مذهبه وفكره اللغوي، فكانت دراستها عامة تركزت في معظمها على حياته ومجاله التربوي والأدبي.

- **أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، لإسحاق موسى الحسيني، 1987م.**

وفيه عرض الحسيني جانبًا من أسلوب النّشاشيبي اللغوي وبعضًا من جهوده اللغوية غير أنّ ما أتى به في ذلك لم يكن سوى مقتطفات قليلة، وتركّزت دراسته على تناول حياة النشاشيبي وجمع بعض المقالات التي كتبها في مجلة المجمع العلمي العربي ومجلة الرسالة، فكانت دراسته في أكثر من نصفها جمعًا لجزء من تراث النشاشيبي.

وبهذا، فإنّ دراستنا هذه جاءت متكاملة الجوانب في البحث اللغوي عند النشاشيبي والحسيني، وقد شملت تمهيدًا، وثلاثة فصول، وخاتمة، فتناول **التمهيد** الحياة العلمية لمحمد إسعاف النشاشيبي وإسحاق موسى الحسيني، وأثر حياتهما في توجيه فكرهما اللغوي، وعرض الباحث فيه تراث الرجلين العلمي.

أمّا الفصل الأول فكان بعنوان **(البحث اللغوي عند النشاشيبي)**، وعرض فيه الباحث المصادر التي نهل منها النشاشيبي ثقافته اللغوية، وعرض لمفهوم اللغة عند النشاشيبي الذي ذهب فيه المذهب الداروينى، وموقفه من القضايا اللغوية كالدعوة إلى العامية والحروف اللاتينية وموقفه من قضية القديم والجديد في اللغة وتيسير النحو، وتناول الباحث نظرته لألفاظ اللغة، والاستدراكات اللغوية التي أخذها على كتّاب وأدباء عصره.

وعرض الباحث في الفصل الثاني **(البحث اللغوي عند الحسيني)**، وتناول فيه مصادره الثقافية اللغوية من مرحلة التعليم الأولى، وتتلمذه على يد المجددين في عصره، وتتلمذه على يد المستشرقين في أوروبا، وتناول مفهومه للّغة الذي ذهب فيه غير مذهب، فجمع بين المذهب الطبيعي في أن اللغة تنمو وتتطور، والمذهب الاجتماعي، والمذهب النفسي، وعرض الباحث نظرة الحسيني في قضايا اللغة من تعريب واختصار ودعوة إلى العامية والحروف اللاتينية، وتناول الباحث أسلوب الحسيني اللغوي، وخصائص اللغة عنده، ورأيه في أصوات اللغة ونحوها وصرفها.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان **(الاختلاف والالتقاء بين النشاشيبي والحسيني دراسة في الأصالة والمعاصرة)**، وفيه عرض الباحث جوانب الاختلاف بين النشاشيبي والحسيني في الموضوع اللغوي في ضوء منهج كلّ منهما، وكان الاختلاف بينهما في الأسلوب، وقضية اللفظ

والمعنى، وتيسير النحو، ومشكلة الحروف العربية، والمنهج التعليمي، ثم عرض جوانب الالتقاء بينهما، وتمثّلت في النظرة إلى الدعوة إلى العامية واللاتينية، والدّفاع عن العربية، وفي جانب من قضية تيسير النحو العربي.

يلي ذلك **الخاتمة**، وأتى فيها الباحث على أهمّ ما توصّل إليه من نتائج خلال هذه الدّراسة.

ولا يُخفي الباحث الصّعوبات التي واجهته في جمع المادة اللغوية عند الرّجلين، ولا سيما النشاشيبي؛ الذي ترك آلاف المقالات في المجلّات العربية القديمة، ويقرّ الباحث أنه لم يترك سبيلا إلا سلكه لأجل جمع هذه المقالات، فبحث في مكتبة إسعاف النّشاشيبي في القدس، ومكتبة مدينة القدس، ومكتبة الجامعة العبرية، ومكتبات الوطن المختلفة، ومكتبات بعض الجامعات العربية التي استطاع الوصول إليها، إلا أنه لم يُيسَّر في الوصول إلى بعض المجلات المصرية القديمة التي كتب فيها النشاشيبي، كالبلاغ وغيرها، وحسب هذه الدّراسة أن ما جاء فيها يُقدّم صورة كاملة للمنهج اللغوي الذي سار فيه النّشاشيبي والحسيني بدراسة مقابلة موازنة بينهما، لم يأت أحد عليها من قبل.

ولمَا تبيّن تخطيط هذه الدّراسة، وما بقي إلّا الولوج فيها، أقول مستعينًا بالله تعالى.

تمهيد

حياة النشاشيبي والحسيني العلمية

النشاشيبي، أحد أفراد تلك الكوكبة التي شابهت علماء اللغة الأوائل في سعة علمهم واطّلاعهم ومعرفتهم، والذين جادت قرائحهم جرّاء حال العربية في عصرهم، فرفدوا الحركة اللغوية والأدبية بإبداعاتهم التي لاقت آذانًا صاغية، وعيونًا ناظرة، أولئك الذين عُدّوا الحصن الحصين للعربية في وقت محنتها والهجمة عليها، وهو محمد إسعـــاف[1] بن عثمان بن سليمان النّشاشيبـــي[2]، ولد في مدينة القدس سنـــة 1890م[3] كمـــا ورد في الأوراق الرسمـــية، وكان والده عثمان من أبرز رجالات عصره علـمًا وذكـاءً وبسطة حال، وقد تنقل في مناصب الدولة حتى عيّن عضوًا في مجلس المبعوثين في الأستانة، وكان مهتما بحضور المجالس العلمية

---

(1) اسم مركب (محمد إسعاف)

(2) يذكر مصطفى الدباغ في كتابه **(بلادنا فلسطين)** أن تاريخ عشيرة النشاشيبي يعود إلى أن الملك الأشرف أبو النصر قايتباي (1468م – 1496م)، سلطان مصر في دولة المماليك الثانية (الشركسية)، أرسل الأمير محمد بن أحمد بن رجب بن ناصر الدين، ابن القاهرة الذي كان يعرف بالنشاشيبي نسبة إلى حرفة عائلته (صناعة النشَّـــاب)، إلى بيت المقدس في عام 874هـــ– 1469م؛ ليضع حدًا لما وصلت إليها أحوالها من جدب وفتن ووباء وغلاء قصم ظهور أهاليها، ومن انتشار لعصابات السرقة وقطع الطرق، علاوة على انقسام أهالي القدس إلى شيع متنافسة، وعهد السلطان قايتباي إلى النشاشيبي بمهمة إعادة الأمن والاستقرار في بيت المقدس، فقام النشاشيبي بالمهمة خير قيام، ويظهر أنه وفِّق فيما عهد إليه إلى حد كبير، وينقل الدبَّـــاغ عن كتاب (الأُنس الجليل بتاريخ بيت المقدس والخليل) لمؤلفه مجير الدين الحنبلي، نبذة من الأفعال التي قام بها النشاشيبي في بيت المقدس، حيث ورد فيه أن النشاشيبي: "باشر تدبير الأمور حتى صلح منها ما كان فسد في زمن برديك التاجي، وتحوَّلت أحوال بيت المقدس إلى الخير، وحصل الرخاء، واستبشر الناس بالفرج بعد الشدة، وتباشر الناس من بركة الأمير ناصر الدين النشاشيبي"، وبعد ذلك عهد السلطان قايتباي إلى النشاشيبي نظارة القدس والخليل، ودام ثماني عشرة سنة، وكان خير محب للعلماء والصالحين. فعائلة آل النشاشيبي المقدسية حاليا تعود بجذورها إلى الأمير المملوكي محمد بن أحمد بن رجب بن ناصر الدين، الذي كان يعرف بالنشاشيبي، والقادم من القاهرة إلى بيت المقدس، فالنشاشيبي لم تكن من عشائر القدس حينئذ، ولكن مع مرور الزمن تكاثر أعقاب محمد بن أحمد ناصر الدين النشاشيبي حتى تشكـــَّلت منهم عائلة آل النشاشيبي. **(يُنظر: الدباغ، مصطفى مراد: بلادنا فلسطين، ط4، دار الطليعة، بيروت، 1988م، ج3/ ص288-289)**.

(3) ذكر أحمد حسن الزيات، صديق إسعاف، في مقال له في مجلة الرسالة، في معرض رثائه لإسعاف، أن مولده سنة 1882م. **(يُنظر: الزيات، أحمد حسن: محمد إسعاف النشاشيبي. مجلة الرسالة، القاهرة، عدد 761، مجلد16، 2-2-1948، ص1)**. وهذا ما رجحه تلميذ النشاشيبي، إسحاق موسى الحسيني، في كتابه **(أديب العربية، محمد إسعاف النشاشيبي)**.

واللغوية والأدبية وقراءة الأبحاث، فكان يقرأ مجلة المقتطف بانتظام، أما أمّه فهي قروية من عائلة أبي غوش، وهي عائلة ذات سلطة وأنفة [1].

نشأ إسعاف في زمن كان فيه المتعلمون قلة قليلة، وكان علمهم اللغة والفقه والحساب، في ذلك الزمن عرفت القدس مجموعة من شيوخ العلم، كانوا يجتمعون لتذاكر الأدب، ومسائل الفقه، ويتقارضون الشعر، وقد كان النشاشيبي يَرِدُ هذه المجالس؛ فيسمع الشعر ونوادر اللغة والأدب[2]. ولعل ورود إسعاف على هذه المجالس في صغره، وسماعه للعربية في أصولها الأولى بعيدة عن التغيير والتشويه، غرس في نفسه البذرة الأولى في تعلقه بالعربية، فكانت الشرارة التي قُدح لهيبها فيما بعد، وجعلته يتعلق بلغته الأصيلة، ويستميت دفاعا عنها.

بدأ النشاشيبي يتعلم في الكتاتيب التعليمية في القدس، ثم التحق بعدها بمدرسة (الفرير)[3] الفرنسية وأنهى فيها المرحلة الابتدائية والثانوية، بعد ذلك اقترح الشيخ راغب الخالدي، أحد شيوخ العلم في القدس، على والد النشاشيبي أن يرسل ابنه إلى التعلّم في بيروت، في المدرسة البطريركية، وكانت شهيرة بعلومها اللغوية والأدبية، فذهب إسعاف إلى بيروت ومكث في هذه المدرسة أربع سنوات، تعلم فيها اللغة والأدب على أيدي ثلة من رجال العلم، أبرزهم الشيخ عبد الله البستاني[4] الذي أكسبه حب العربية في أصولها، وجزالة الألفاظ فيها، وأبعده عن أساليب المحدثين، وما فيها

---

(1) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي**، ط1، مركز الأبحاث الإسلامية- مؤسسة دار الطفل العربي، القدس، 1987م، ص5-7

(2) يُنظر: حمادة، محمد عمر: **موسوعة أعلام فلسطين**، ط2، دار الوثائق، دمشق، 2000م، ج1/ص262و264

(3) مدرسة ثانوية تبشيرية للبنين، يعود تاريخها إلى العصر العثماني، تأسست عام 1876 في حارة النصارى في القدس، كانت تعلّم العربية والفرنسية، وكان بعض أساتذتها ضباطًا في الجيش الفرنسي، وفي عام 1999 حُوّلت إلى مدرسة مختلطة، وفي عام 2005 سُلّمت إدارتها إلى طاقم فلسطيني، وهي تدرس الآن المنهاج الرسمي الفلسطيني، علاوة على اللغة الفرنسية والعبرية. **(يُنظر: الموسوعة الفلسطينية، مج3/ ص454)** و**(الموقع الرسمي لمدرسة الفرير www.cdf.edu.ps)**.

(4) لغوي وأديب لبناني (1854-1930)، من أعضاء المجمع العلمي العربي، ولد في قرية الدّبية جنوب بيروت، له مؤلفات عديدة أبرزها وأشهرها **(معجم البستان)** وهو مكون من مجلدين، أدخل فيه كثيرًا من أسماء المكتشفات والمخترعات والدخيل والمولّد. **(يُنظر: الزّركلي، خير الدين: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، 141/4)**.

من ركاكة وضعف ولين، والشيخ محيي الدين الخياط[1] الذي حببه بشعر أبي تمام، والشيخ مصطفى الغلاييني[2] الذي علمه النحو وأرشده إلى النحويين من الكوفيين والبصريين[3].

كان لهذه الفترة التعليمية التي قضاها النشاشيبي في بيروت أثر كبير في تشكيل ثقافته اللغوية، فقد أخذت تنمو تلك البذرة التي كانت فيما بعد منهجه وأسلوبه، لقد زاد بحق تعلّمه في بيروت قدرته اللغوية والنحوية وثقافته الأدبية؛ إذ تخرج من المدرسة زاهيًا بعلمه مفتخرًا بصنيعه.

أربع سنوات في بيروت، فيها بدأ شخص النشاشيبي بالتكون، وفيها تأسس وباللغة تمرس، فأقر بفضلها وبصنيع أساتذتها، وفي كلمته التي ألقاها في الحفلة التكريمية لأستاذه مصطفى الغلاييني ذكرها ولم ينسها، فقال بحقّها: "بيروت مدينة تهذيبي، بيروت دار هدايتي، بيروت خالقتي، في بيروتَ تعلمت، في بيروتَ اهتديت، في بيروتَ كُوِّنت ولولا هي ما كنت"[4]. وعاد من بيروت إلى وطنه وهو ابن ست عشرة سنة، عاد ولم يعد بعدها لمدرسة. عاد شابا متكبرا على أقرانه بعلمه، وبيده قصيدة مطبوعة بماء الذهب في وداع مدرسته، وقد وزّعها على أدباء عصره مفتخرا بـــها[5].

وعندما رجع إسعاف إلى القدس اصطدم بوالده الذي أراد منه أن يعينه على العمل في ثروته وأملاكه، فبينما كان الأب ينتظر من ابنه أن يكون رجل أعمال يستثمر الأموال والأملاك، عكف إسعاف على المطالعة، وتعلّق بالكتب والأدب، فأحدث هذا بينهما خلافًا أبعد إسعافًا عن أبيه، عاش إسعاف بعد ذلك حياة صعبة يسترزق بالعمل مدرسا للعربية في بعض المدارس إلى أن حُسم

---

(1) لبناني(1875–1914) من مواليد مدينة صيدا، عُيّن عضوًا في جمعية بيروت للإصلاح عام 1913م، من آثاره **(دروس الصرف والنحو)** و**(شرح ديوان أبي تمام)** و**(دروس التاريخ الإسلامي)**. **(يُنظر: وكيبيديا (https://ar.wikipedia.org**

(2) أديب لبناني (1886–1944)، من أعضاء المجمع العلمي العربي، ولد في بيروت ومات فيها، عمل مدرسًا للغة العربية في بيروت، وعُيّن خطيبًا في الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى، له من الكتب **(نظرات في اللغة والأدب)** و**(الثريا المضية في الدروس العروضية)** و**(ديوان الغلاييني)**. **(يُنظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، 245/7)**.

(3) يُنظر: أبو عليان، ياسر وآخرون: **أبحاث عن أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، عصره، حياته، أدبه وفكره**، ط1، مركز الأبحاث الإسلامية– مؤسسة دار الطفل العربي، القدس، 1987م،ص29–30

(4) النشاشيبي، محمد إسعاف: **نُقل الأديب لأديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي مع مهرجان الغلاييني و العربية المصرية**، تقديم إسحاق موسى الحسيني، ط3، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2001م، ص151

(5) يُنظر: السكاكيني، خليل: **كذا أنا يا دنيا**، المطبعة التجارية، القدس، 1955م، ص382

الخلاف بموت أبيه، فورث إسعاف أموالا طائلة وأملاكا كثيرة، وأوقف نفسه بعد ذلك طلبا للعلم، وأخذ يقرأ من الكتب ما وقع تحت يديه، ويقتني أندرها وأثمنها[1].

بعد ذلك بفترة قصيرة أُعلن الدستور العثماني من جديد، وذلك عام 1908م، وكان النشاشيبي صديقا للأديب خليل السكاكيني، الذي كان مقاربًا له في العمر، والذي عاد إلى القدس من سفره في أمريكا إثر إعلان الدستور، فلازم إسعاف صديقه السكاكيني في كل وقت، وكتبا في ظل تلك الظروف ما يوحيه الواقع عليهما، حتى أنشأ حنا العيسى[2] مجلة الأصمعي[3]، وكتبا فيها مقالات كثيرة، وكان إسعاف مهتما بمقامات الهمذاني فكتب بأسلوبه وكُنّي لذلك بأبي الفضل[4].

في ظل هذه الفترة بدأ إسعاف بإظهار فكره وكشف منهجه، فعكوفه على قراءة اللغة في مظانّها وأصولها بعد خلافه مع أبيه عمل على ثبات طريقته وأسلوبه في اللغة، وكانت كتاباته في مجلة الأصمعي أولى البوادر التي حملت منهجه، فكتب بأسلوب المقامات ذات اللغة الجزلة المسجوعة، وابتعد عن الركاكة في اللغة والسماجة، وكانت كتابته دالة على منهجه منذ البدايات الأولى له في الكتابة.

وفي هذا الوقت أصدر خليل بيدس[5] مجلة النفائس[6] العصرية في القدس، فأخذ النشاشيبي النشاشيبي يكتب فيها من شعره ونثره، ثم صدرت مجلة المنهل فكتب فيها، وقد ظل إسعاف في أثناء هذه الفترة وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى يطالع كتب الأدب واللغة القديمة، إذ تفرغ في هذه

---

(1) يُنظر: الزيات، احمد حسن: **محمد إسعاف النشاشيبي . مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 761، مجلد16، 2-2-1948، ص1.

(2) صحفي وأديب فلسطيني (1858-1909)، لُقّب بأبي السعيد، وهي كنية الأصمعي وذلك لإعجابه به، ومن ذلك أنشأ مجلة أدبية أسماها (**الأصمعي**).

(3) مجلة عربية فلسطينية، صدرت في الأول من أيلول عام 1908م وهي مجلة نصف شهرية، عالجت موضوعات أدبية واجتماعية وسياسية وتربوية، صدر منها أحد عشر عددًا في مدة خمسة أشهر ونصف، توقف صدورها بعد وفاة مؤسسها عام 1909م، وقد شارك في الكتابة فيها خليل السكاكيني وإسعاف النشاشيبي.

(4) يُنظر: السكاكيني، خليل: **كذا أنا يا دنيا**، ص382- 383

(5) أديب فلسطيني (1846-1903)، من أشهر كتّاب القصة في فلسطين، ولد في الناصرة، أصدر مجلة النفائس العصرية، له مؤلفات عديدة أشهرها رواية (الوارث) وهي أول رواية فلسطينية. **(يُنظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، 313/2)**.

(6) مجلة أدبية، صدر العدد الأول منها في 1908/11/1 في حيفا، ثم نُقل مكان صدورها إلى القدس، في بدايتها كانت تصدر أسبوعيًا، ثم أصبحت تصدر مرتين في الشهر، بعد ذلك اضطربت مواعيد صدورها في كثير من الأحيان، ركزت في ثناياها على الفن الأدبي القصصي فكانت مسرحًا لفن القصة، توقف صدورها عام 1923م تحت وطأة الظروف الناتجة عن الانتداب البريطاني.

الفترة للقراءة فقط، فقرأ عددا كبيرًا من أمّات كتب الأدب واللغة، وكانت هذه الفترة بحق أخصب سنيّ حياته، وتركت في نفسه وأسلوبه أثرًا شابه أسلوب أهل اللغة القدامى بل طابقهم، فكان أسلوبه عربيًا قحّا كثرت فيه الغرابة والجزالة[1].

انصرف إسعاف بعد ذلك إلى التأليف والعمل في سلك التربية والتعليم، فعمل مدرسا في الكلية الصلاحية[2] في القدس بجانب مجموعة من العلماء، وبعد الحرب العالمية الأولى اشترك في النادي العربي الذي سعى إلى استقلال فلسطين، وعُيّن في هذا الوقت مدرسا للعربية في المدرسة الرشيدية في القدس، ثم مديرًا لها، وكثيرًا ما اجتمع في هذه الفترة مع أدباء أمثال السكاكيني ومعروف الرصافي ونخلة زريق، ثم عُين مفتشا للعربية بمنطقة القدس، فظهر أسلوبه اللغوي في أساليبه التدريسية، واصطدم إثر ذلك بالسكاكيني الذي عُين لاحقا مفتشا للعربية أيضا، فاختلفا في أساليبهما، وقد اهـــتم النشاشيبي بالأدب القديم، بينما عمـــل السكاكيني على التحرر من القديم، فوقع بينهما شقاق، أدى إلى افتراقهما، وفي هذه الفترة أصدر النشاشيبي مجموعة من المؤلفات منها (مجموعة النشاشيبي) و(البستان) لتعليم طلبة المدارس، وتحوي نصوصًا من تراث القدماء[3].

بعد هذه المرحلة سار النشاشيبي في المنهج القديم، وخاض غماره في كل وقت وحين، وأوقف نفسه خدمة للعربية وموطنها، وشكّل فيما بعد رأس هذا الاتجاه، فكتب وخطب مظهرا فكره ومنهجه ومدافعا عن العربية وفضلها، وخالف صديقه السكاكيني لأجل هذا، وحمل على من انتقد أسلوب الأصوليين من اللغويين، وكان دفاعه عن العربية دفاعا لا يدانيه أحد، وكأنه نار حارقة على خصوم العربية الأصيلة.

وفي عام 1929م استقال إسعاف من دائرة المعارف التي كان قد عُين فيها عام1919م، وانقطع بعدها إلى القراءة والكتابة والتنقل بين البلاد العربية؛ لإلقاء المحاضرات والخطب، فأصدر

---

(1) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي**، ص11-15

(2) من مدارس بيت المقدس، وكانت كنيسة تعرف (بصند حنة) قبل فتح بيت المقدس الصلاحي، وبعد الفتح سُمّيت بالصلاحية نسبة إلى صلاح الدين الأيوبي وذلك سنة 1192م، ولكنّ الأتراك العثمانيين تنازلوا عنها في القرن التاسع عشر للفرنسيين، وبقيت كذلك حتى عام 1914م، حيث سيطر عليها الأتراك وأبقوها مدرسة تعلّم العربية والعلوم الدينية وذلك على يد أحمد جمال باشا بعد ذلك لم تدم سنتين إذ احتلها الإنجليز عندما احتلوا فلسطين. **(يُنظر: العارف، عارف: المفصل في تاريخ فلسطين، ط2، مكتبة الأندلس، القدس 1986، ص136-238)**.

(3) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي**، ص18-20

مجموعة من الكتب، وكتب كثيرا من المقالات في مجلات عربية مختلفة، وظل إسعاف في هذه الفترة يقرأ ويكتب، يختفي حينا معتكفا للتأليف ويظهر حينا، وقد كتب في هذه الفترة كتاب (الأمة العربية) و(حماسة النشاشيبي) و(جنة عدن)، وفي شتاء عام 1947م سافر إلى القاهرة؛ ليشرف على طباعة كتبه الثلاثة، وأقام في فندق (الكوننتنتال)، فكان يَرِدُ عليه أدباء مصر ومثقفوها حتى عاجلته المنية بعيدًا عن وطنه، وذلك صباح الخميس في الثاني والعشرين من كانون الثاني سنة ألف وتسعمئة وثمان وأربعين[1]. ودفن إسعاف في مصر التي أحبها، وبموته انطفأت شعلة كان لها نور يضيء الدروب لمن أحب لغته العربية ووطنه العربي، وكتب في رثائه خلق كثير من الكتّاب والأدباء والشعراء[2]

لقد ترك إسعاف أثرًا كبيرًا في الحياة الأدبية العربية ولا سيّما الفلسطينية منها، رحل تاركًا مجموعة من الآثار اللغوية والأدبية والإسلامية، ونثر عبقه في كثير من المجلات والصحف التي كانت تنشر موضوعاته ومقالاته، وبحق إن الحياة التي عاشها إسعاف وتكوينه الثقافي والفكري الذي كان نتاجا لحياته لهما ذو أثر كبير في توجيهه نحو الأصالة وحب التراث، والتمسك بأصله وفصله العربي المضري، تلك حياته التي ارتبطت بأهل اللغة الأولى بكتبهم وعلمهم بعيدا عن الحياة الأوروبية ومغرياتها ودعواتها جعلت منه إسعافا للعربية بحق، فقد أسعفها بنهجه الذي دعا له، وأسعفها أمام دعوات كادت أن تكيد بالعربية بإلغائها، واستبدال اللاتينية والعامية بها، لقد حمل

---

(1) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **أديب العربية الأجلّ محمد إسعاف النشاشيبي . مجلة المجمع العلمي العربي،** دمشق، جزء 2، مجلد 23، 1 نيسان 1948، ص297-300.

(2) ممن كتب في رثائه الشاعر محمد عبد الغني حسن الذي كتب قصيدة بعنوان (كل أرض ضمتك فهي وساد) في مجلة الرسالة، ومنها قوله:

يستوي الموتُ في المكان النائي ومكان الأجداد والآبـــــاءِ
يا غريب الممات ما نـــــــحنُ إلا غربـــــاء في منزل الغرباءِ
كلُّ أَرض ضمتكَ فهي وســــــادٌ يستوي عندها مصيرُ الفنــاءِ
لم تمت ميتة الجبـــان ولكـــــن متَّ في العلـــم ميتة الشهداءِ
كُنــت في ساحة العروبة سيفـــاً من نفاذ ومُنصلاً من مضـــــاءِ

(يُنظر: حسن، محمد عبد الغني: دمعة على محمد إسعاف النشاشيبي، مجلة الرسالة، القاهرة، عدد 762، مجلد 16، 9-2-1948، ص35)

على عاتقه الدفاع عن العربية فكان له ما أراد، وترك لنا مجموعة من آثاره القلمية دلّت على ذلك، منها:

1- كلمة موجزة في سير العلم وسيرتنا معه- القدس 1916م.
2- مجموعة النشاشيبي- القاهرة 1913-1922.
3- قلب عربي وعقل أوروبي- القدس 1924.
4- البستان- القاهرة 1924-1927.
5- كلمة في اللغة العربية- القدس 1925
6- العربية وشاعرها الأكبر أحمد شوقي- القاهرة 1928
7- العربية والأستاذ الريحاني- مصر 1928
8- العربية في المدرسة- القاهرة 1928
9- مقام إبراهيم- القدس 1931
10- البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي- القدس 1932
11- الإسلام الصحيح- القدس 1936
12- نُقل الأديب- بيروت 1956
13- مخطوطات لا يعرف مصيرها وهي: (أمالي النشاشيبي) و(الأمة العربية) و(جنة عدن)
14- مجموعة من الرسائل في أصلها خطب ألقاها في مناسبات معينة
15- مجموعة كبيرة من المقالات في موضوعات مختلفة كتبها بمجلات عديدة كالنفائس والرسالة والمنهل ومجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي.

أمّا الحسيني، فهو "أحد أولئك الرواد الذين تنسكوا في محراب العلم، وجاهدوا في سبيله، وشغلوا بتراث الأمة العربية وأدبها، عرفه بنو قومه أديبًا ومفكرًا وكاتبًا ينادي بالإصلاح في سمو ذات، وحرارة إيمان، وعمق تفكير"[1]. إنه إسحاق موسى صالح النقيب بن عمر الكبير الحسيني،

(1) السلوادي، حسن عبد الرحمن: **الدكتور إسحاق موسى الحسيني عميد الأدب العربي بين الوفاء والذكرى**، مركز إحياء التراث العربي، القدس، 1991م، ص10

المولود سنة 1904م في بيت المقدس[1]، والده موسى رجل متصوف يتبع الطريقة القادرية، كان اهتمامه بالدين أكثر من اهتمامه بالأمور الدنيوية، فلم يعمل تاجرًا أو مزارعًا، ولم يلِ منصبًا في الدولة، ولكن كان حاله ميسورًا فلم يكن دخله قليلًا، الذي كان من أموال الوقف، وكان مهتما بالفقراء يساعدهم ويتصدق عليهم[2]، ومع مرور الوقت أخذ الطفل إسحــاق ينمو ويترعرع، وطبقًا للحياة الدينية التي عاشها والده رغب الوالد توجيه ابنه، إذ إنّه وجهه وجهة صالحة يتعلم فيها دينه، فأدخله الكتاتيب التعليمية في القدس؛ ليتعلم القرآن، فدخل كتّاب جامع الشيخ لولو في مدخل باب العمود، ولم يمكث إسحاق طويلًا في هذه الكتاتيب حتى توفي والده سنة 1911م، وكان إسحاق حينئذ في السابعة من عمره[3] بعد ذلك أخذت والدته تدير شؤونه، وآثرت نقله من التعليم في الكتاتيب إلى المدارس النظامية؛ وذلك بسبب قسوة المعاملة التي كان يتلقاها الطالب من عصا الشيخ[4].

انتقل إسحاق إثر ذلك إلى المدارس النظامية في القدس، ودرس في عدد منها، كمدرسة المنجكية والمدرسة الرصاصية، وبعد أن بلغ من العمر عشر سنوات دخل المدرسة الرشيدية التي تعلم فيها العربية باللغة التركية، وبعد إتمام المدرسة فضّلت والدته إرساله ليدرس الزراعة، فالتحق بمدرسة (ينتر الزراعية) وكان التعليم فيها بالفرنسية والتركية، ولم يمكث فيها إسحاق إلا بضعة أشهر، فلم يستطع تحمل مشاق الزراعة، ولذلك فرَّ هاربًا من المدرسة، وقد ذهبت هموم هذه المدرسة عندما اقترح الشيخ عبد القادر المظفر صديق والده على والدة إسحاق أن يلتحق ابنها بالكلية الصلاحية، وقد وافقت الوالدة على ذلك، فالتحق إسحاق بهذه الكلية التي كانت تركز على تعليم الدين واللغة، فتعلم فيها عامين، ثم التحق بمدرسة الفرير التي حصل فيها على الشهادة النهائية في العربية، وشهادات في المواد الأخرى، ثم التحق بالمدرسة الرشيدية وقد كان ابن ستة عشر

---

(1) يُنظَر: حمادة، محمد عمر: **موسوعة أعلام فلسطين**، دار الوثائق، دمشق، 2000م، 260/1

(2) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **من ذكريات العمر(حياتي المدرسية)، مجلة الفجر الأدبي**، القدس، عدد33، السنة الثالثة، حزيران 1983، ص14

(3) الحسيني، إسحاق موسى: **من ذكريات العمر(حياتي المدرسية)، مجلة الفجر الأدبي**، القدس، عدد33، السنة الثالثة، حزيران 1983، ص14: ص14

(4) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى، **تعلمت من الناس– تجارب من الحياة**، مؤسسة اليرموك للثقافة والإعلام، رام الله، 1987، ص30

عاما، فتتلمذ العربية فيها على يد إسعاف النشاشيبي الذي كان له دور كبير في توجيه إسحاق نحو تعلم اللغة العربية، إذ بدأ ميل إسحاق نحو اللغة منذ ذلك الحين[1].

منذ هذا الوقت بدأ اهتمام إسحاق الحسيني باللغة العربية، وكان دخوله المدرسة الرشيدية وتتلمذه على يد إسعاف النشاشيبي فيها البذرة الأولى التي غُرست في نفسه ودفعته إلى الإقبال على اللغة إقبالًا شديدًا، فقد كانت هذه الفترة البدايات التي انطلقت فيما بعد وشكلت فكره اللغوي الذي كان استكمالا لمدرسة لغوية كان لها صدى كبير.

التحق إسحاق بعد ذلك بالكلية الإنجليزية وتتلمذ العربية فيها على يد نخلة زريق الذي ترك أثرًا في نفسه نحو تعلم اللغة ودراستها، وفي سنة 1923م تخرج إسحاق في الكلية، وحصل على شهادة الدراسة الثانوية[2]، وبذلك انتهت المرحلة المدرسية من حياته وقد خرج منها متعلقًا بلغته، مهتمًا بها، إذ تأثر بمعلمَيه النشاشيبي ونخلة زريق تأثرًا واضحًا جعله يُقبل في دراسته الجامعية على اللغة وتعلمها.

سافر بعد ذلك إلى القاهرة؛ للبدء بالدارسة الجامعية فالتحق بالجامعة الأمريكية، ودرس الصحافة، وفي عام 1926م تخرج في الجامعة حاصلًا على شهادة الدبلوم[3]. في أثناء هذه الفترة كانت القاهرة تعيش في ظل أعقاب ثورة 1919م، وكانت الحياة فيها مليئة بالتيارات السياسية والفكرية، وقد أفاد إسحاق من هذه الحياة، فكان يستمع لكثير من الندوات والمحاضرات ومنها محاضرات طه حسين في الأدب[4].

---

(1) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **من ذكريات العمر(حياتي المدرسية)، مجلة الفجر الأدبي**، القدس، عدد33، السنة الثالثة، حزيران 1983، ص15-16.

(2) يُنظر: **نفسه**، ص17.

(3) يُنظر: قنازع، جوزع وآخرون: **مجموعة بحوث عربية مهداة إلى الدكتور إسحاق موسى الحسيني**، مطبعة الشرق العربية، القدس، 1984، ص5.

(4) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **فصل من ذكريات العمر، مجلة الفجر الأدبي**، القدس، عدد 22، السنة الثانية، تموز 1982، ص75-76

وكان للصحافة - تخصص الحسيني- أثر كبير في توجيه فكره اللغوي، إذ امتازت لغته فيما بعد بالسهولة واليسر، وهذا ما تحتاجه الصحافة، فابتعد عن الجزالة التي انماز بها النشاشيبي، وكان تأثره بالتيارات الفكرية عاملا مهمًا في تكوّن مذهب التجديد في كتاباته، فاستماعه لمحاضرات طه حسين التجديدية في الأدب عززت ذلك الاتجاه الذي أخذ يتبلور بشكل واضح مع حياته المستقبلية.

عاد إسحاق إلى وطنه حاملًا شهادته، إذ عُين معلمًا في المدرسة الرشيدية، وفي الوقت نفسه التحق بكلية الحقوق في القدس، ولكنّه لم يمكث طويلًا في القدس حتى عاد إلى القاهرة والتحق بالجامعة الأمريكية فيها متخصصًا باللغة العربية واللغات السّاميّة، وذلك عام 1926م، فدرس فيها وحصل على شهادة الليسانس بدرجة امتياز، عام 1929م[1].

وفي العام نفسه، غادر إسحاق القاهرة متوجهًا صوب لندن، فالتحق هناك بمعهد (الدراسات الشرقية والإفريقية) التابع لجامعة لندن[2]، ودرس فيه، وحصل على درجة البكالوريوس بمرتبة الشرف الأولى، ثم أكمل دراسته ونال شهادة دبلوم اللغات السّامية، واستمر في مسيرته العلمية حتى نال عام 1934م درجة الدكتوراه في الأدب[3]، بدراسة عنوانها (ابن قتيبة، حياته وآثاره) قدمها باللغة الإنجليزية، بإشراف أستاذه المستشرق (هاملتون جب)، وترجمها الدكتور هاشم ياغي إلى العربية.

وقد ترك (هاملتون جب) أثرًا كبيرًا في إسحاق، كما بيّن إسحاق فضله الكبير وأثره عليه، وكان (جب) من أقرب الأساتذة في لندن إليه، وبقي إسحاق على اتصال بأستاذه حتى بعد تخرجه من لندن، وزار (جب) تلميذه إسحاق في القدس، وصحبه إسحاق في جولته ببعض المناطق التي زارها[4].

---

(1) يُنظر: قنازع، جوزع وآخرون: **مجموعة بحوث عربية مهداة إلى الدكتور إسحاق موسى الحسيني**، ص5

(2) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **من ذكريات العمر– الحلقة الثالثة، مجلة الفجر الأدبي**، القدس، عدد27، السنة الثالثة، كانون الأول 1982، ص14

(3) يُنظر: قنازع، جوزع وآخرون: **مجموعة بحوث عربية مهداة إلى الدكتور إسحاق موسى الحسيني**، ص5

(4) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **علماء المشرقيات في إنجلترا**، المطبعة التجارية، القدس، 1940م، ص42–43

ولعل هذه المرحلة من حياة الحسيني عملت على بلورة اتجاهه اللغوي، ومنها انطلق يظهر آراءه ويخط أفكاره، وبحق إن الثقافة الغربية التي تشربها الحسيني من معلميه على رأسهم المستشرق (جب)، ومن عيشه واحتكاكه بالحضارة الغربية، عملت على تبنيه أفكار تلك الحضارة، فسار على نهج أستاذه في مصر طه حسين، ورغم تتلمذه علي يد إسعاف النشاشيبي فإن ميوله الصحفية وتعلمه على أبيد بعض دعاة التجديد في مصر أمثال طه حسين، وتأثره الكبير بالحضارة الغربية في أثناء دراسته في لندن، جعلته يحمل منهجا مغايرا لأستاذه النشاشيبي.

وعندما عاد الحسيني إلى وطنه عمل مدرسا للّغة العربية في مدارس مختلفة، ودرّس في عدد من المعاهد والجامعات، في بيروت والقاهرة والولايات المتحدة الأمريكية وكندا، وعُيّن عضوًا في المجامع العلمية واللغوية، ونشر عشرات الأبحاث والمقالات في مجلات وصحف مختلفة، وفي عام 1990م فارق الحسيني الحياة، وهو ابن ست وثمانين سنة[1]. لقد كانت حياة الحسيني العملية حافلة بالعطاء، قضى فيها ما يقارب الخمسين عامًا يخدم أمته ولغته ودينه، وترك خلفه جملة من المؤلفات التي دلّت على وفرة عطائه، ومنها:

1- ابن قتيبة (حياته وآثاره) - لندن 1934م، وهذه الدراسة باللغة الإنجليزية، نال بها درجة الدكتوراه في جامعة لندن وترجمها هاشم ياغي للعربية.

2- رأي في تدريس اللغة العربية - القدس 1937م.

3- علماء المشرقيات في إنجلترا- القدس 1940م.

4- مذكرات دجاجة – القاهرة 1943م.

5- العروض السّهل (جزآن) بالاشتراك مع فايز الغول – القدس 1945م.

6- عودة السفينة- القدس 1945م.

7- أساليب تدريس اللغة العربية – القدس 1947م.

8- هل الأدباء بشر – بيروت 1950م.

9- النقد الأدبي المعاصر في الربع الأول من القرن العشرين – بيروت 1950م

(1) يُنظر: قنازع، جوزع وآخرون: **مجموعة بحوث عربية مهداة إلى الدكتور إسحاق موسى الحسيني**، ص5

10- أزمة الفكر العربي – بيروت 1954م.

11- الأساس في قواعد اللغة العربية – بيروت 1954م.

12- المدخل إلى الأدب العربي المعاصر – القاهرة 1963م.

13- المدخل لدراسة الأدب العربي المعاصر - القاهرة 1964م.

14- قضايا عربية معاصرة – بيروت 1978م.

15- أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي – القدس 1987م

16- خليل السكاكيني الأديب المجدد – القدس 1989م.

17- مجموعة كبيرة من الأبحاث والمقالات بمواضيع مختلفة، نشرها في مجلات عديدة، منها مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، ومجلة الشراع، ومجلة الأديب، والأبحاث، والفجر الأدبي، ومجلة المجمع اللغوي الدمشقي، وغيرها الكثير.

وبهذا فقد سار الحسيني في الاتجاه اللغوي الداعي إلى التجديد، وابتعد عن التكلف الذي سار به أصحاب النهج القديم.

الفصل الأول

البحث اللغوي عند النشاشيبي

أولا: المصادر المكونة للمنهج اللغوي عند النشاشيبي

ثانيًا: آراؤه في القضايا اللغوية

- اللغة عند النّشاشيبي
- اللغة العربية بين القديم والجديد
- الدعوة إلى العامية واللاتينية
- تيسير النحو
- ألفاظ العربيّة

ثالثًا: استدراكه اللغوي

أولًا: المصادر المكونة للمنهج اللغوي عند النشاشيبي:

لقد نهل النشاشيبي العلم ما شاء الله له أن ينهل، فوصل درجة من الثقافة والمعرفة ما ندر مثيله وقلّ نظيره، وكان واسع الاطلاع والبحث، وشديد التنقيب والتفتيش في المراجع والأصول، فوصل إلى ما وصل إليه العلماء السابقون من شمولية في العلم، فكان يحدِّث في "الفقه والشريعة، وآراء المعتزلة وعلماء الكلام، ونظريات الفلاسفة والحكماء، وطرائف الكتّاب ونوادر الشّعراء، مع امتلاك ناصية العربية، وإلمام بالأدب والعلم والفلسفة في أوروبا الحديثة إلماما يدل على طول الباع وعظيم المنزلة"[1]، علاوة على علمه بالسّياسة وإلمامه بها، أمّا الجانب اللغوي عنده فكان إسعاف - بحق- مدرسة أدبية ولغوية منفردة، كانت نتاجا لحياته العملية التي استقى مصادره اللغوية منها، وهنا يمكن القول: إن هناك مصدرين اعتمد عليهما النشاشيبي في تكوين منهجه وفكره اللغوي، وهما:

أولًا: المرحلة التعليمية في بيروت.

شكّلت الفترة الزمنية التي عاشها النّشاشيبي في بيروت البوصلة الثقافية اللغوية التي وجهته نحو الاهتمام بالعربية وتعلّمها، فكانت العربية بذلك الأساس الذي بُني عليه ذهن النشاشيبي وعقله، وهذه نتيجة حتمية بحكم العمر الذي كان فيه النشاشيبي في حينه، فقد كان ابن اثنتي عشرة سنة عندما توجه إلى دار الحكمة في بيروت؛ لتعلّم اللغة العربية، وفي دار الحكمة أخذ يستقي العربية من منابعها الأصيلة، فتعلّم على يد أساتذة اهتموا بالقديم، وكانوا في أساليبهم يسيرون نهج اللغويين الأصوليين، فكانت لغة الجاحظ والمتنبي وأبي تمام هي اللغة التي ارتكز عليها النشاشيبي[2].

مكث النشاشيبي في بيروت زهاء أربع سنوات تذوق فيها الأدب على نحو لم يكن مألوفًا في بلده، فشغفته العربية بأسرارها الدقيقة، وأساليبها المحكمة وألفاظها الأنيقة، وكان لأساتذته في بيروت الفضل الأكبر في توجيهه نحو هذه الوجهة اللغوية. فتلقّى العلم على يد عبد الله البستاني

---

(1) الأهواني، أحمد فؤاد: **محمد إسعاف النشاشيبي– مدرسة أدبية، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 762، مجلد16، 9-2-1948، ص17

(2) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **أديب العربية محمد إسعاف النّشاشيبي**، ص8

الذي أورثه حب القديم وبغض أساليب المحدثين[1]، وتتلمذ على يد محيي الدّين الخياط الذي نبهه إلى شعر أبي تمام، وتلقّى النحو على مصطفى الغلاييني الذي أرشده إلى أمّات كتب النحو، وقد كان لهذه المرحلة الأثر البالغ في حياة إسعاف "إذ صادف فيها هوى نفسه، وأرضى نزعته الفطرية إلى اللغة والأدب، ولا شك في أنّ هذه المدة التي قضاها في بيروت مكّنته من اللغة العربية قواعد وأدبًا، وأعدّته ليكون أديبًا ولغويًّا متفوقًا من طراز خاص"[2].

تأثر النشاشيبي بكثير من أساتذته الذين تتلمذ عليهم في بيروت، فحمل منهجهم وبقي أثرهم في نفسه مصاحبًا له في حياته، وقد كتب غير مرة في مجلات مختلفة مبيّنًا أثر بيروت وفضلها عليه وعلى الأمة العربية، فهي بنظره "مثقفة العرب، وبيروت موقظة العرب بعد طول هجوعهم، بيروت المستبدة بكل خير، بيروت المستأثرة بكل فضيلة، بيروت منبعث الأنوار، بيروت فلك الشموس والأقمار، ضوّأت لي بيروت عن طريقي فمشيت وهدتني بيروت هداها فهديت"[3] فهذه هي بيروت ودار الحكمة وأساتذتها قد وضعته في طريق العربية، هذا الطريق الذي عرف فيما بعد خباياه وخفاياه ودقائقه.

ثانيًا: مرحلة التعلّم الذاتي.

شكّلت هذه المرحلة بحق ثقافة النّشاشيبي ومنهجه، وما كان كلّ ما تعلّمه بداية حياته في بيروت سوى فاتحة وجّهته نحو العربية وعلومها، فبعد أن أنهى أربع سنوات فيها عاد إلى موطنه ومسكنه في القدس، وقد شغفته العربية شغفًا منقطع النظير، فأوقف نفسه للمطالعة وتحصيل لذّة المعرفة، وأخذ يقبل على قراءة كتب القدماء في علوم اللغة وآدابها، وقد عكف على القراءة بجلد عجيب وأخذ على عاتقه تحصيل المعرفة والغوص في بحر اللغة العربية.

(1) يُنظر: الحسيني، إسحاق: ***أديب العربية الأجل محمد إسعاف النشاشيبي*- مجلة المجمع العلمي العربي**، مج23، ج2، 1921م، ص294-295

(2) الحسيني، إسحاق موسى: **أديب العربية محمد إسعاف النّشاشيبي**، ص8

(3) النشاشيبي، محمد إسعاف: **نُقل الأديب لأديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي مع مهرجان الغلاييني و العربية المصرية**، ص152

انقطع النشاشيبي في هذه المرحلة على القراءة "فاقتنى مكتبة من أنفس الكتب وأندرها، وأقبل عليها وهو لا يزال في ربيع العمر، فقتلها علما وفهمها وتدقيقا وتعليقا واختيارًا واستظهارًا، ولم يترك كتابًا مما أخرجته المطابع، أو نسخته الأقلام، في القديم والحديث إلا قرأه وعلّق عليه واستفاد منه، حتى لا تستطيع أن تذكر له كتابًا من كتب العربية لم يقرأه، ولا بيتًا من شعر الفحول لم يحفظه، ولا خبرًا من تاريخ العرب والإسلام لم يروه، ولا شيئًا من قواعد اللغة ونوادر التركيب وطرائف الأمثال لم يعلمه"[1]، ووصل به الأمر أن قرأ أربعمئة كتاب عندما وضع كتابه (شرح أمثال أبي تمام)، وسبعمئة كتاب في سبيل تأليف كتابه (الإسلام الصّحيح)[2].

إنّ هذه الطريقة التي اكتسب النشاشيبي منها معارفه هي التي شكّلت منهجه، وأسست مذهبه اللغوي، فلم يلتحق بمعاهد غربية كغيره من الدّارسين الذين تأثروا بالثقافة الغربية أمثال طه حسين، ولم يعايش الحضارة الأجنبية في موطنها، كصديقه السكاكيني الذي عايشها، فكان باتّصاله بكتب القدماء أن تأثر فيهم، وحمل فكرهم ونهجهم، والنشاشيبي يؤمن أنّ قوة الأمة تكمن في تراثها الأصيل، "فهو يعتقد أنه بعكوفه على تراث أمته، واستلهامه إياه في محاولاته الإبداعية، إنّما يساهم في بعث النهضة في مجتمع ران عليه الجمود والانغلاق"[3]، ولكنّ هذا الفكر والنّهج عنده كان طبعًا لا صنعة، وهذا ما ميّزه عن غيره، فكانت لغته كلغة الجاحظ والمبرّد وأبي تمام، ولذلك نرى أنّ جلّ تواليفه اللغوية كانت تحقيقًا واختيارًا وأمالي، وغدت لغته جزلة قوية، لا تكلّفًا وتشدقًا، وإنما لغة ألفها وفهمها وطبعت في قلبه وذهنه، نتيجة لهذه المرحلة التي اكتسب فيها ثقافته من كتب القدماء التي حوت العربية الأصيلة النقيّة غير متأثرة بحضارة عصرية، وكل هذا بجده ونهمه وحبه للقراءة، فكان بذلك "تحصيله عجب عجيب؛ فهو خاتم طبقة من الأدباء اللغويين المحققين، لا يستطيع الزمن الحاضر بطبيعته وثقافته أن يجود بمثله"[4].

---

(1) الزيات، أحمد حسن: ***محمد إسعاف النشاشيبي***، **مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 761، مجلد2،16-2-1948، ص1

(2) يُنظر: الحسيني، إسحاق: ***أديب العربية الأجل محمد إسعاف النشاشيبي***- **مجلة المجمع العلمي العربي**، مج23، ج2، 1948م، ص299

(3) السلوادي، حسن: **أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي بين المحافظة والتجديد**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، عدد 29، جزء2، شباط 2013، ص182

(4) الزيات، أحمد حسن: ***محمد إسعاف النشاشيبي***، **مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 761، مجلد2،16-2-1948، ص1

ثانيا: آراؤه في القضايا اللغوية

1- اللغة عند النّشاشيبي:

كرّس النّشاشيبي حياته دفاعًا عن اللغة العربية وخدمتها، وأوقف وقته للعناية بها، والبحث فيها، والتنقيب في دقائقها، فامتلك ناصيتها رغم أن تعلّمه كان ذاتيًا، وبهذا شابه القدماء في التمكّن من اللغة وعلومها، لقد كان شديد العصبية للغته يدافع عنها دفاعًا لا يدانيه أحد، فكتب في الصحف والمجلات، وخطب في المجامع والندوات مبينًا أثرها، ومبرزًا فضلها على لغات العالم، ومهاجمًا دعوات ظهرت في وجهها، ومعربًا عن أسفه من تنكّر أبناء العرب لها، وتظهر آراؤه وأفكاره هذه في معظم ما كتب وخطب، فما خطبته (كلمة في العربية) التي ألقاها في القاهرة سوى مثالٍ على نظرته وحبه للغته.

لقد ربط إسعاف اللغة العربية بالدين الإسلامي، وجعلهما واحدًا، فلا نكاد نرى حديثًا له عن العربية إلا واستحضر دين محمد وقرآن محمد، فهي الحامية لهذا الدين، وبذلك كانت نظرته للعربية نظرة تعلو كونها لغة خطاب، بل لغة مقدّسة تحمل قداسة زادتها على غيرها من لغات العالم، إنّها "العربية العبقرية ذات التعاجيب المحمّديّة، وهذه القوّة الخُلقية، وهذه المقاصد القرآنية، وهذه الآداب الإلهية، وتلك الحضارة والمدنية"[1] وهذا التقديس للّغة عند إسعاف يعيدنا إلى قدسية العربية التي آمن بها علماء اللغة القدماء، فكان حكمه على من يرفض العربية ويجادل فيها حكمًا دينيًا إسلاميًا، فلا يشنأ العربية إلا من انسلخ عن شرفه وقيمه وكفر بشريعته.

حَرص النشاشيبي على التّمسك باللغة العربية ونهضتها، ونادى غير مرة بإصلاحها من الجهل والظّلام الذي أخذ يتخللها نتيجة بريق الحضارة الغربية الذي تمسك به بعض العرب، وتركوا عروبتهم ولغتهم وثقافتهم، ولذلك "اختلط في هذه الأيام الحابل بالنابل، والحق بالباطل، وفُقد التميّز بين العالم والجاهل، وبين ذي الرأي البليغ والرأي الركيك، وبين القول المتين والقول

---

(1) النشاشيبي، محمد إسعاف: **نُقل الأديب لأديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي مع مهرجان الغلاييني و العربية المصرية**، ص 163

السّخيف"[1]، ولم يكتف إسعاف داعيًا إلى الصّلاح في اللغة وعلومها أمام هؤلاء الجهلة الجهّال كما يراهم، وإنما هاجمهم ووقف في وجههم منذ شبابه، ومواقفه هذه نلحظها في جُلّ مؤلفاته، فكتب في جريدة فلسطين مقالًا يشنّع على كتّاب الجرائد، أصحاب التراكيب الركيكة، والمعاني الفاسدة المضطربة، ويدعو إلى هجرهم؛ لأنهم أساؤوا إلى العلم أي إساءة، ولم يراعوا حرمة لغة ولا أدب، فيقول: "وإني أرى، والرأي الحق ما أراه، أنّ مظاهرة أدعياء الأدب ومساندتهم في نشر صحائفهم السّود حرام وأي حرام، بل كفر دونه كلّ كفر، ولخير للأمة العربيّة أن تفقد جرائدها كلّها جمعاء من أن تُعبّد لذي الإفساد في اللغة والعلم طريقه، وتسني له ما يرتجيه"[2].

إنّ اللغة عند إسعاف جامع العرب ومُظهرهم على غيرهم، ودرجة امتلاكها هي المقياس بينهم، فمن امتلك ناصية العربية كان أكثر عروبة من غيره، وكل من نطق العربية لغة محمد وتلا كتاب محمد فهو عربي، "فليست دار العربية رمال الدّهناء، أو هضبات نجد أو الحجاز، أو أقاليم الشّام أو أرض العراق، بل دارها كلّ مكان ينطق بالضّاد أهله، ويتلو فيه كتاب محمد قرّاؤه، وأقوى القوم عربيّة بل العرب العرباء أعرفهم بأدب العربية"[3]، وهو بهذا يقرن العربية باللسان والدّين، فمن كان لسانه عربيًا ودينه إسلاميًا كان عربيًا من العرب، إنّها النظرة الدّينية المقدسة للّغة العربية كما أرادها إسعاف.

لقد نظر إسعاف إلى اللغة من منظور أصحاب نظرية المحاكاة، فاللغة عنده أصلها أصوات مسموعات، نشأت عن محاكاة الإنسان للأصوات المحيطة به، يقول: "إنّ لغات الأمم كافة، أي لغات التّصور والفكر، إنما أصلها لغات الأصوات وقد ورثها الأناسي عن الأقربين من قردة آخر الوقت المعدني كما ورثوا عنها سواها"[4]، فإسعاف يرى أن أصل اللغة هو محاكاة لأصوات سمعها الإنسان في حياته، وهذه الأصوات انتقلت من أناس إلى غيرهم، وهذا ما ذهب إليه بعض العرب القدماء على أنّ أصل اللغات هو من الأصوات المسموعات، كخرير الماء ودوي الريح

(1) النشاشيبي، إسعاف: **الكتّاب اللصوص، جريدة فلسطين**، حيفا، عدد 65، سنة1، 29-11-1911م، ص3

(2) النشاشيبي، إسعاف: **جهل بعض الجرائد وضلالها، جريدة فلسطين**، حيفا، عدد 63، سنة1، 18-11-1911م، ص2

(3) النشاشيبي، إسعاف: **العربية وشاعرها الأكبر واللغة العربية والأستاذ الريحاني والعربية في المدرسة**، مطبعة المعارف، القاهرة، 1928م، ص9.

(4) النّشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في اللغة العربية**، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1925م، ص8

وصهيل الفرس، وما رأي إسعاف هذا سوى تأثر بما قرأه من كتب اللغة لعلماء كابن جنّي والزّمخشري وغيرهم[1].

وما اللغة العربية عند النشاشيبي سوى نتاج لتطور الأصوات، وانتقالها من أناس عن أناس حتى وصلت إلى أبهى حللها، وهي نتاج تصرّف في جميع اللغات التي سبقتها فكانت بذلك أبلغ اللغات وأجودها، لأجل هذا كما يرى إسعاف "أطبق علماء المشارقة والمغاربة على أنّ هذه اللغة العربية من أبلغ لغات الكرة الأرضية، ومن أفصح اللهجات التي حرّك الإنسان بها لسانه من بعد أن جاب الأفق الحيواني وجاء الأفق الإنساني"[2].

ومما آمن إسعاف به في اللغة أنّها تنمو وتتطور من حين لآخر، وهو بهذا يأخذ بالمذهب الداروينيي في النشوء والارتقاء والانتخاب الطبيعي ويوقعه على اللغة، فلم ينكر أنّ اللغة تنمو وتتطور، بل أخذ يدعو لهذه النظرية، ويظهر هذا في قوله عن اللغات: "وأما زعمهم في أنّ سنة النشوء في أمر اللغات تباين ديننا، فقد بيّن القوم بهذا الزّعم أنّهم لم يفقهوا من ذلك العلم الجليل إلا اسمه، فإنّ مذهب النّشوء لم يخالفنا ولم نخالفه في حال"[3]، وبهذا فإن اللغة العربية وأي لغة لم تكن في بداية نشوئها على درجة عالية من الدّقة والإتقان، وإنما مع تصاريف الزمان ارتقت وحسُنت وقويت، فهذا حال العربية كما يقول إسعاف: "لم تكن في أول يوم أنيقة مجوّدة كما حملها إلينا الكتاب المعجز وقصائد شعرائها، فقد كانت مثل شقائقها فشذّبها الدّهر وصقلها حتّى عادت كالوذيلة[4] المشوّفة[5]، وهذا صنع الانتخاب الطبيعي"[6].

ومن نظرية النشوء والارتقاء التي طبّقها إسعاف على اللغة، فإن اللغة، أي لغة، تبلغ درجة عالية من النّشوء والكمال، وما تلبث على هذا حتى تبدأ تضعف شيئا فشيئًا، ومن اللغات ما يضعف

---

(1) ينظر: ابن جني: الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت، 47/1

(2) النّشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في اللغة العربية**: ص8

(3) **نفسه**: ص46-47

(4) القطعة من الفضة (ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1993م، مادة وذل)

(5) المجلوّة (ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة شوف)

(6) النّشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في اللغة العربية**، ص9

أو يندثر وينتهي عبر العصور، وهذا ما كانت عليه العربية فقد بلغت من المجد ما لم تبلغه لغة أخرى حتّى تبدّلت وأخذت تسير إلى الخلف، وهذا ما بيّنه النّشاشيبي حين قال: "إنّ اللغة العربيّة تبدّلت يوم كانت في الجزيرة ووصلت إلى الذي وصلت إليه، ثم جاء الخطّ فوقفها وظعنت أفاريق[1] من أهلها عن مرابعهم ولابسوا الأعاجم فكادت العجمة تقتادهم إليها، وكاد المعربون يتراطنون لولا أن جدّ القوم في حفظها وروايتها، وقد كانت العربيّة تمشي منذ ذلك الحين القهقرى لا اليقدميّة"[2].

ولأجل هذا يدعو إسعاف إلى التّمسك باللغة؛ حتى لا تضعف وتموت، أما سبيله في ذلك فهو إحياء النّصوص اللغوية التي بلغت بها العربية مجدها وعزّها، فيدعو إلى الانكباب على الكنز اللغوي القديم من آثار العرب وأقوالهم، والإقبال على دراسة الكتاب العظيم قول الله الكريم، فهذه السبيل سبيل إخراج العربية من ركاكتها وضعفها، وهذا يتبيّن في قوله: "إنّ في الانكباب على القول القديم العتيق خيرًا كثيرًا، بل إنّ فيه كلّ الخير، بل لا خير إلا عنده"[3].

ويرى إسعاف أنّ اللغة في تطورها تخضع لأمرين، الأول هو الانتخاب الطبيعي، ويعني به أن ألفاظ اللغة تتهذب مع مرور الزمن، وأنّ بعض مفرداتها تتساقط في الطريق ومن ذلك كثير من كلام الجاهلية لم يعد يستخدم في لغة اليوم، أما الثاني فهو الانتخاب الصّنعي، ويقصد به ما يدخله الناس إلى لغتهم من ألفاظ ومفردات كالاشتقاق والتوليد والتعريب، غير أن هذا الانتخاب ليس عبثًا وليس لكل شخص أن يدخل كلمة إلى اللغة، فالكلمات الممسوخة المشينة لا تعتبر من اللغة فالمقصود هو الحسن الجيّد لا القبيح السيئ[4].

إنّ إسعافًا يؤمن أنّ اللغة هي الأمة وهي الرّابط الأقوى بين أجزاء الأمة كما بيّن في قوله: "اللغة هي الأمة والأمة هي اللغة وضعف الأولى ضعف الثّانية وهلاك الثّانية هلاك الأولى"[5]

---

(1) جمع أفراق، وأفراق جمع فرقة. (ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة فرق)

(2) النّشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في اللغة العربية:** ص47

(3) **نفسه:** ص57

(4) يُنظر: **نفسه**، ص47-48

(5) النشاشيبي، محمد إسعاف: **العربية وشاعرها الأكبر واللغة العربية والأستاذ الريحاني والعربية في المدرسة**، ص49

ص49

لذلك أبدى تعظيمه للغته وفخره فيها، وكان تعظيمه هذا كله نابعًا من قداستها في نفسه، والعربية عنده كانت أمته ودينه وثقافته وتراثه، يقول: "وإنّ العربية لو لم تكن الإبداع كلّه، ولو لم تكن الجمال الأجمل، ولو لم تكن اللغة المصطفاة، ولو لم تك لغة عجبًا ما اختارها الدّهر لقرآنها .. فالعربية الصّنع العبقري للدهر، والعربيّة الدّرة اليتيمة أو كنز الزّمان ضنّ به كل الضّن ثم سخا"[1].

إن النّشاشيبي وقف مدافعًا عن لغته العربية متمسكًا بها وقد زاد دفاعه عنها بأسلوبه الحماسي عندما أخذت كثير من الهجمات تنال منها، وأخذ كثير من أبنائها يدعون إلى تجديدها وترك كثير من أصولها، وكان من ذلك أن وضع كثيرًا من المؤلفات لبيان فضلها وقوتها، ومما كتب في ذلك ما خطّه في كلمته المشهورة "وإني لما ظننت أن لم يبق من هذه اللغة إلا حشاشة محتضَر، ووجدت تفاقم هذا الشر الجسيم تأجج ناره في الأقاليم العربية، وشاهدت استفحال ذلك الدّاء الدوي سارعت إلى إهماد النّار من قبل أن يأتي يوم يتعذر فيه إهمادها، وابتدرت مداواة الدّاء قبل أن يمسي عضالًا عياء، فأمليت هذه الكلمة"[2].

ومن هنا فإنّ إسعافًا يلح على أبناء العربية أن يعرفوا لغتهم الصحيحة كما هي في القرآن وآثار العرب القديمة من شعر ونثر، وأن يتكلموا ويخطبوا بها، ويدافعوا عنها، بل وتكون مقدّسة في نفوسهم، فهي من ذاك الكتاب المقدس، وهي لغة محمد أبلغ العرب وأفصح من نطق بالضاد.

2- اللغة العربيّة بين القديم والجديد:

تعد قضيّة القديم والجديد في اللغة من أبرز قضايا الصّراع التي دارت بين كثير من الكتّاب والأدباء واللغويين في القرن الماضي، وكان هذا الصّراع يدور حول الأسلوب اللغوي القديم المغرق في السجع، والألفاظ الجزلة القاموسية، وحول الاهتمام باللفظ على حساب المضمون، وقد نشب هذا الصراع بين قطبين، أولهما المحافظون الذين تشبثوا بتراثهم ولغتهم كما وصلتهم من أبنائها وعلمائها الأوائل، ومن أبرز مَن مثّل هذا القطب مصطفى صادق الرّافعي وشكيب أرسلان

(1) نفسه: ص49

(2) النّشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في اللغة العربية**، ص7

وأحمد حسن الزيّات وأحمد زكي باشا، أما القطب الآخَر فهم المجددون الذين عارضوا منهج المحافظين وأسلوبهم ودعوا إلى التّحرر من قيود القديم، وأبرز من سار في هذا الاتجاه سلامة موسى وطه حسين وخليل السّكاكيني وعبّاس العقّاد، وفي خضم هذا الصّراع كان طابع العنف والقوة في المحاورات التي دارت بين الفريقين هو الغالب، وقد وصل عنف هذا الصّراع إلى تبادل الاتهامات والانتقادات بين الفريقين[1].

وقد انبرى كلّ طرف يدافع عن منهجه، فالمحافظون تمسّكوا بالأسلوب العربي الذي عرفوه وهو أسلوب الجاحظ والمبرّد والمتنبي وغيرهم ولا أسلوب في اللغة غيره، وهذا ما أوضحه شكيب أرسلان حين رد على خليل السكاكيني بقوله: "أما الأساليب فهناك مذهبان، مذهب قديم ومذهب جديد. وأنا لا أعلم مذاهب جديدة إلا في العلم والفن، أما في الأدب واللغة فلا أعرف إلا مذهبًا واحدًا هو مذهب العرب، وهو الذي يريد أن يسميه بالمذهب القديم. وهو الذي يجتهد كل كاتب في العربية أن يحتذي مثاله ويقرب منه ما استطاع؛ لأنه هو المثل الأعلى والغاية القصوى، وقصارى الأديب العربي اليوم أن يتمكن من إفراغ الموضوع العصري في قالب عربي بحت لا يخرج باللغة عن أسلوبها ولا يهجن لهجتها ولا يجعلها لغة ثانية، أما المذهب الجديد الذي أشار إليه في الأدب فلا تعلمه في المذاهب ولا وصل إلينا خبره. فحبذا لو أتانا صاحبنا بتعريف المذهب الجديد هذا ودلنا على أمثلة منه وكتب مؤلفا فيه"[2].

أما المجددون فكانت نظرتهم "أنّ اللغة، وقد وقفت عند عصر بعيد، وأنّ تطور الحياة وتقدمها قد سبق هذا العصر بما لا تلحقه عبارات القدماء وألفاظهم، فمن الحق أن يأخذ الكتاب من اللغة بجديد يعتمل ما بلغته الحياة من تطور وتقدم"[3].

---

(1) ينظر: الجندي، أنور: المعارك الأدبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983م، ص10

(2) أرسلان، شكيب: **مختارات نقدية في اللغة والأدب والتاريخ**، ط1، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1982م، ص73

(3) حامد، أحمد حسن: **السكاكيني في النهضة الفكرية المعاصرة**، ط2، مكتبة خالد بن الوليد، نابلس 1997م، ص206/ نقلا عن مقال (**اللغة والأدب، القديم والجديد**) لمحمد حسين هيكل، وهو منشور في جريدة السّياسة المصرية في 18آذار، 1925م

لقد شهدت المجلات العربية هذا الصراع، فكانت الميدان الذي أتاح لكلا الطرفين عرض آرائه والدّفاع عن مذهبه، وكان إسعاف النّشاشيبي قد أظهر نظرته وأفكاره في هذه القضية بشكل بارز ووقف في صفّ المحافظين، وهذا ليس غريبًا بحكم المصادر اللغوية التي نهل منها فكره وعلمه، فلم يعش في البلاد الأوروبية، ولم يتأثر بالثقافة الغربية كأصحاب المنهج التجديدي.

وقد تناول إسعاف هذه القضية في كتاباته وأول ما بدأت واضحة عنده في خطبته: (كلمة في العربية) وهي خطبة مطوّلة أظهر فيها حبه للعربية الفصيحة، وبيّن فساد دعوة المجددين، فلم يقف إسعاف مكتوف اليدين أمام دعاة الجديد، بل راح يدافع عن العربية الفصحى دفاعًا قويًا، يقول: "ولم يسئ امرؤ إلى عدو إساءة أبناء هذا الزّمان إلى فتاة الجزيرة، فقد هجرها فريق منهم هجرًا وجعل هجريّاءه[1] ازدراءها، واعتراض عرض المتدلّه بها، والاستسخار من كلّ مُهيب بالنّاس إلى حذقها وروايتها"[2].

ومع تنظير دعاة التجديد إلى السيّر نحو لغة عصريّة تتناسب والعصر الذي تعيش فيه اللغة تجنبًا لاندثارها وموتها، ودعوتهم إلى الابتعاد عن الجزالة والألفاظ المتكلفة الصعبة، أخذ النّشاشيبي يردّ على هذه الدعوة "واستبدل فريق بهذه اللغة الفصيحة الصّحيحة البليغة الكريمة السّريّة لغة القرآن المعجز والحديث ولغة المفضليّات والجمهرة والحماسة والكامل والأمالي والبيان والتبيين والعقد والأغاني، تبدّل بلغة كلّ ذلك لغة هذا الوقت، وهي لغة تقصر يراعة كلّ بليغ عن وصف سخفها وركاكتها وسماجتها وعجمتها"[3] فهؤلاء الدعاة بنظر إسعاف يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، فكأنهم اختاروا النحاس على الذّهب.

إنّ الدعوة إلى اللغة العصرية لتجاري هذا الزمان ظهرت عند كل دعاة التجديد، فكانت الدّعوة إلى المعاصرة هي نقطة أساس في قضيتهم، ومن هؤلاء الذين دعوا إلى المعاصرة خليل السكاكيني، ففي كتابه (مطالعات في اللغة والأدب) قال: "إنّ لكل عصر بل لكل إقليم في كل عصر لغته وأسلوبه، حتى إنك لتستطيع أن تعرف القول من أي عصر أو من أي إقليم هو وإن كنت لا

(1) دأبه وشأنه

(2) النّشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في اللغة العربية**، ص6

(3) **نفسه:** ص6

تعرف قائله"[1]، ولا يذهب عنّا أنّ السكاكيني هو صديق إسعاف المقرّب الذي افترق عنه بسبب منهجه المحافظ في اللغة، ومن هنا فإن إسعافًا في كلمته يرد على صديقه الذي ذهب مذهب التجديد ومن سار في هذا المنهج.

ويظهر من قول إسعاف السّابق أنه يدعو إلى الكتابة بالعربية الفصحى التي ألفها أبناؤها الأوائل، إنها لغة الجاحظ ومن على شاكلته، لذلك يرد على دعاة التجديد في هجمتهم على الأسلوب العربي الأصيل الموجود في كتب الأقدمين، ويرد على استصعابهم لتلك الألفاظ المضرية العربية التي ألفها وفهمها، فنراه يقول: "وإن انبرى لنا زنيم في العلم فقال: إنّ الأمة لا تفقه القول إن اتّصف بما تبغيه منّا، وإنّ المعاني لتعمى عليها. أجبناه: إن كنت تعني بالأمة جهالها فهؤلاء لا يعبأ الله بهم، ولا يعبأ بهم عاقل، وهؤلاء لا يبالون أصحّ القول أم سقم ... وإن تصدى لنا متصد آخر فقال: إن العلم ليضيق ذرعًا في هذا الأسلوب الذي تحببه إلى النّاس. أجبناه: إنّا لا نريد أن نجحف بك، إنّا لا نسألك إلا الاحتفاظ بالتركيب العربي والهرب من ركّة القول"[2].

إنّ إسعافًا يدعو إلى اللغة الخالية من الركّة ويرفض تلك اللغة السخيفة الركيكة التي تسمى اللغة العصرية، ويرد على دعاتها ردًا حماسيًا شديد اللهجة فيقول: "وإن نَجم ذئب فصاح إن لكل عصر لغة، وإنّ لطبيعة العصر سلطانًا على القول، فكيف تنادينا إلى لغةٍ العصرُ يقول إن استمعها ليست هذه بلغتي، فنحن نشنأ ما تنادينا إليه.. وإنّا لنهرب من استعمال الغريب الوحشي ولا نهوى لا نهوى إلا لغتنا العصرية السّهلة الواضحة التي يفهما كلّ إنسان حتى راعي البقر. إن نَجم لنا مثل ذلك الذئب وعوى عواءه ألقمناه حجرًا أو حجرين، ثم قلنا له: أجل أيّها المدجّل المحاوت، إنّ لكل دهر لغة، وإنّ لطبيعة العصر سلطانًا، وإنّا كلّما ابتعدنا عن زمان القرآن ابتعدنا عن جمال تلك اللغة المضرية العربية، غير أنّ لغتك العصرية هذه لغة من حديدٍ طبع أجرب، ولغتك العصرية هذه لغة معتلّة، فنحن ندعوك إلى مداواتها وتقويتها بتلاوة القول القديم لكيلا تُسلّ أو يدود لحمها ثم تموت"[3].

---

(1) السكاكيني، خليل: **مطالعات في اللغة والأدب**، مدرسة الأيتام الإسلامية، القدس، 1925م، ص94

(2) النّشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في اللغة العربية**، ص53-54

(3) **نفسه:** ص55-56

ويرد إسعاف على دعاة التجديد في قولهم إنّ أقصى ما يبغون الوصول إليه هو إيصال المعنى والمضمون، أما اللفظ فلا أهميّة له، فهو الوسيلة لنقل المعنى، وتعقيد اللفظ يقف حاجزًا أمام وصول المعنى، فيرى في هؤلاء المعنويين نتاج الجهل والعجز، فهم ينكبون على قول المعاصرين الغث السقط، فلا تجد منهم من عاشر كتابًا جليلًا في لغته وعظيمًا في مادته "أما قولهم: إنّ المعوّل عليه هو المعنى لا اللفظ وإنّ أمر الثّاني ليس بذي بال، فهو قول أملاه الخبث والعجز والجهل ولا أدري أي المعاني يغزون، أهي المعاني التي يعرفها العطار والبيطار والتي هي ملقاة على الطّرق، وهذه إن لم تلتجئ إلى لفظ أنيق سريّ يقي ابتذالها فُضّل الأبكم على قائلها"[1].

لقد أثار هجوم النشاشيبي في كلمته على المجددين قضية الجديد والقديم مرة أخرى، فاشتعلت المعركة الأدبية بين الفريقين، ووقعت مساجلات بين النشاشيبي وأمين الريحاني الذي قرأ الكلمة وأرسل إثرها رسالة يرد فيها على إسعاف وينكر عليه حوشي الكلام وغريبه فيها، ومما قاله: "إن هذا الأسلوب مثل ذاك البدوي في الحياة، هو مظهر عجيب يسترعي الأنظار، فيدهش، ويطرب، ويحزن معاً. ولماذا؟ لأنه زائل. أحببت البدوي (والله)، وكنت معجباً به، ولكني لا أستطيع ولا أحب أن أكون مثله. وأحببت (كلمتك)، وكنت وأنا أطالعها معجباً بها. ولكني لا أستطيع، ولو أحببت، أن اكتب مثلها. ولا أظن أن هذا الأسلوب أسلوبك يكون مألوفاً أو معروفاً بعد خمسين سنة، أني مكبر أدبك، محترم علمك، محبذ دعوتك للمحافظة على روح اللغة والصيغة العربية فيها. وأظن أني من المحافظين، رغم تجددي المخيف، ولكنك غاليت في حب القديم، غاليت يا رجل"[2].

والحق أنّ إسعافًا لم يدع إلى استخدام اللفظ الحوشي الغريب، بل دعا إلى الابتعاد عن الألفاظ الركيكة السخيفة التي أصبحت عارًا على العربية المضرية، فنراه يقول لمن يتهم المحافظين باستخدام الحوشي من الكلام والدعوة إلى غريبه: "قل لي من جهر قدّامك بمدح استعمال الغريب الوحشي ولم يندد بالراغب في التّوعر والتعقيد ولم ينع عليه قبح عمله، الحق أنك ذئب عريق في الذّءابة قد حيل بينك وبين المهور في اللغة؛ لتفريطك في جنب العلم والأدب، ولإفراطك في اللهو

---

(1) النّشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في اللغة العربية** ، ص49

(2) النّشاشيبي، محمد إسعاف: **الفيلسوف أمين الرّيحاني، *مجلة الرسالة***، القاهرة، عدد 639، مجلد13، 1-10-1945،ص6

واللعب، ولا جرم أنّك لا تميّز بين التوعر والتعقيد والتأليف الرصين المضبوط الذي لا يرتع النقد، ولا ريب في أنّك لا تفرّق بين الغريب وغير الغريب، وكلام العرب كلّه غريب عندك"[1].

وقد ردّ إسعاف على الريحاني بمقالات يبين فيها موقفه، وأنه لم يتكلف ولم يقلد، يقول: "فلست مقلدًا في القول أحدًا، وإنّما هي ألفاظ عربية مضرية عرفتها، وأسلوب عربي متين عقلته، وملكة جاءت ثم كلام هو ذوب روحي وابن نفسي وخليقتي وطريقتي"[2]

لقد اهتم إسعاف بجودة اللفظ وقوته فلم يغفل عنه على حساب المعنى كما فعل أصحاب المنهج التجديدي، لذلك كانت لغته قوية جزلة، ورغم أنّ النشاشيبي رفض اللفظ الغريب والتعقيد في اللغة فإنّ لغته كانت غريبة على أبناء عصره ومتكلفة في بيئته العربية التي تأثرت بالحضارة الغربية، غير أنّ هذه الجزالة اللغوية والتكلف والغرابة في اللفظ لم تكن رغبة عند إسعاف ولا تكلفًا أو بحثًا عن التعقيد والغريب، بل غدا النشاشيبي مطبوعًا على العرب القدامى في أسلوبهم ولغتهم، وما هذا سوى نتاج قراءته العميقة لكتب القدماء واعتكافه عليها، وهذا ما بيّنه تلميذه إسحاق الحسيني في قوله: "ومن قرأ له دون أن يقف على حقيقة حاله ويخالطه توهم أنه يتكلف الفصاحة والإغراب ويحاكي القدامى ويقلدهم، ولكنه في الواقع كان جزءًا لا يتجزأ من القدامى، يعيش معظم وقته معهم يفهمهم ويجيد فهمهم"[3].

ومن هنا فقد أنكر إسعاف على المجددين ركّة القول وهزله، وأنكر على كثير من الشعراء المحدثين واصفًا شعرهم بالقول الهزل والتخليط والعبث، وقصائدهم مخزيات مهلهلات، وقد كتب مقالات عديدة في مجلة الرسالة ينكر على هؤلاء الشّعراء ونظمهم، يقول فيهم: "إنّ هؤلاء القارضين الذين إذا صاح بهم صائح أو نهرهم ناهر، أو كشف عن مواطن جهلهم كاشف، عووا عواء الذئاب، وانتاشوه بألسنة حداد، ونزقوا ولبثوا ليالي ونُهُرًا متأوهين متأففين، يلعنون النقد والناقدين، وهكذا استشرى شر هؤلاء المتشاعرين، وقويت شوكتهم، وتسنى لهم في مصر وفي غير

(1) النّشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في اللغة العربية**، ص59-60

(2) النشاشيبي، محمد إسعاف: **وشاعرها الأكبر واللغة العربية والأستاذ الريحاني والعربية في المدرسة**، ص34

(3) الحسيني، إسحاق موسى: **أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي**، ص15

مصر من البلاد العربية أن ينعتوا (بالمجددين)، وأن يلجوا أبواب الصحف المحترمة التي تحفل بالأدب، وأن يصلوا منها إلى موضع التشريف والتكريم"[1].

ويشنّع إسعاف على هؤلاء الشعراء الذين ادّعوا التجديد في اللغة والشعر، وما تجديدهم هذا بنظره سوى عبث وطريق لهدم اللغة وإضعافها، فلا أصابوا المعنى ولا بلغوا اللفظ في نظمهم، "فكان كلما وقعت على شيء من مقصداتهم اندفعت إليه مشوقا؛ لعلي أصيب منه طريفاً، أو أفيد منه معنى شريفاً، أو أظفر بما تهش به النفس وتقر العين، أو لعلي - بعد ذلك - ألمح فيه شيئاً من (التجديد) الذي به يتشدقون، وعليه في تدجيلهم يتوكؤون - ذلك التجديد الذي لا أدري ما هو؟ ولا كيف هو؟ وإنما الذي أدريه أنه لفظ لاكته الألسن منذ نحو ثلث قرن، وأدري أيضاً أنه لفظ جنى على اللغة والأدب جناية أي جناية"[2].

لقد دافع النشاشيبي عن نفسه في نظرته إلى هؤلاء الشعراء بأنه لم يكن ضد التجديد في الشعر، فهو لم يرفض شعرهم لأنه اتسم بالتجديد ووقوفهم في خندق المجددين وإنما لركاكة شعرهم واعتياص أساليبهم، وحقيقة التجديد ظاهرة في شعر العرب وأدبهم فقد تطور الشعر في المراحل الزمنية ولم يكن الشعر في العصر الجاهلي كحاله في الإسلامي، ولم يكن في عصر الإسلام كحاله في عصر الأمويين والعباسيين، ومع تجديد الشعر واختلاف أساليبه في العصور الزمنية المختلفة بقي رصينًا محكمًا بلغته ومعانيه وجماله، وهذا ما لم يأت به هؤلاء الشعراء الذين يتبجحون بالتجديد والمعاصرة فشعرهم هو مجموعة من التفكك والاضطراب والبرقشة والإغراب، فهل كان إسعاف حقًا يقبل التجديد في الشعر؟.

الحق أنّ إسعافًا مطبوع على العرب القدامى، فكانت لغتهم هي لغته ونهجهم نهجه، ومن المؤكد أنّ إسعافًا في نظرته إلى الجديد كانت نظرة ترتكز على اللغة، فما كان لغته رصينة محكمة فحبذا التجديد، أما اللغة المهلهلة الضعيفة بحجة مناسبة العصر فهي الطامة على اللغة وسبب دمار الفصحى، فلم يرفض التّنوّع في الشّعر ولم يحدده بقافية تحدّه، وبهذا لم يعترض على الشّعر المرسل

(1) النشاشيبي، محمد إسعاف: ***الشّعر الجديد***، **مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 556، مجلد12، 28-2-1944م،ص34

(2) **نفسه:** ص34

بهيكله بقدر ما استمسك برصانة لغته وجمال معانيه، وما يثبت ذلك قصيدته التي كتبها في رثاء شوقي وهي منظومة على الشعر المرسل[1]، ويبين إسعاف رأيه بهذا الشعر في مجلة الرسالة بقوله: "إنّ العربية لا تنكر تفننا في المقال، ولا تصد عن التنويع؛ فقصيد مقيد، وقصيد مرسل، وموشح وغير ذلك. ولكل مقام يقتضيه، وزيادة الخير في الفنون خير، والعالم في تبدّل، والدنيا تطير. وإذا تفنن قائل أو أبدع وأجاد فلا تقل له يا هذا ضللت أو أخطأت"[2] وبهذا فإنّ مقياس جودة اللغة هو المحدد عند الرجل، فهو لغوي متمسك باللغة الأصيلة القوية.

والخلاصة أن النشاشيبي عمل على بقاء اللغة قوية رصينة محكمة بحيث لا تختلف عن لغة القرآن والعرب القدامى، إنها لغة القديم التي أرادها والتي كانت العربية فيها أظهر لغات العالم وأعظمها، أما الجديد والتجديد فلا يكون في حرف اللغة عن أصلها فتكون مهلهلة ضعيفة، لذلك رفض المجددين في اللغة لأن تجديدهم هو نقل اللغة من القوة والجزالة إلى الرّكة والضعف بحجة المعاصرة.

3- الدعوة إلى العامية والحروف اللاتينية:

إن وجود اللهجات ليس حديثا على الأمة العربية وكذلك على أية أمة، فوجود لهجات عربية متجذر وقديم قدم القبائل العربية، وأساس وجودها نابع من انعزال القبائل العربية وتطور كلام كل قبيلة عن الأخرى، ومع مرور الزمن، ولأسباب دينية واقتصادية وسياسية وثقافية، ظهرت الحاجة لوسيلة للتفاهم تجمع بين القبائل العربية المختلفة، وليس هناك ما يقرّب بين هذه القبائل المتنافرة

---

(1) أثبت إسعاف هذه القصيدة في كتابه (البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي) وفي (مجلة الرسالة في العدد551)، ومما قاله فيها:

"شاعر العرب قضى، يا فتاة العرب، فالبسي ثوب الحداد!

وابرزي بين الملا، حاسرةً واندبيه.

زحزحي هذا النقابَ لنرى وجه الحزين

أعرضي عن خَفَرٍ عُوِّدتِيه، فعيون القوم غرقى في الدموع

شيعي دمعك هذا قانئاً بنحيبٍ ونشيجٍ وعويل

وابذلي الدمع رخيصاً؛ إن من تبكين غالِ"

(2) النشاشيبي، محمد إسعاف: ***القصيد المرسل***، **مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 551، مجلد12، 24-1-1944، ص6

كاللغة المشتركة، فعندما تهيأت الظروف وتكاملت توحدت القبائل العربية بلغة أدبية ممتازة مشتركة، عرفت فيما بعد باللغة الفصحى[1].

وبعد أن تشكلت اللغة المشتركة جاء الإسلام ليعزز من هذه اللغة بنزول القرآن الكريم ويقويها ويحفظها، ومع انتشار الإسلام أخذ نجم هذه اللغة يبزغ في الجزيرة العربية، وكذلك في المناطق التي دخلها المسلمون إثر الفتوحات الإسلامية، ورغم ذلك بقيت اللهجات موجودة ولكن بغير قيمة لها.

وحين اتسعت رقعة الإسلام وامتزج العرب بغيرهم من الأمم شاع اللحن على الألسنة، فشعر علماء اللغة بالخوف على سلامة اللغة العربية بعد أن اختلط العرب بالأعاجم إثر الفتوح وسكنوا بلادهم وعايشوهم، وتنبه أولو البصر أنّ الأمر آيل إلى فساد الألسنة وضياع اللغة، فتضافرت جهود العلماء على صيانة اللغة العربية ووضع أحكام لها، حتى جابهوا الصعوبات والتحديات التي واجهتها[2].

ولم تكن اللهجات بعيدة عن اللغة المشتركة الفصحى، وإنما عاشت بجانبها في ذلك الوقت دون أثر على حياة اللغة ودون تنافس بينهما، إذ اختصت اللهجات العامية بميدان التعامل في الحياة واختصت الفصحى بميدان الأدب لا يزاحمها فيه مزاحم، ولكن مع مرور الزمن ووصولنا إلى العصر الحديث أصبحت هذه الظاهرة، ظاهرة وجود الفصحى واللهجات العامية في اللغة العربية، مشكلة نتج عنها تخلف العرب وتراجعهم وغدا حل المشكلة هو اعتماد العامية لغة لكل شيء، للأدب والحياة، حتى تنهض الأمة العربية من هذا التخلف بزعمهم، وغرابة هذه المشكلة المحدثة تزول إذا عرفنا أنّ الاستعمار الأجنبي هو سببها الداعي لها[3].

---

(1) يُنظر: أنيس، إبراهيم: **في اللهجات العربية**، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003م، ص35-36

(2) يُنظر: الأفغاني، سعيد: **في أصول النحو**، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دمشق، 1994م، ص6

(3) يُنظر: زكريا، نفوسة: **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**، ط1، دار نشر الثقافة، الاسكندرية، 1964م، ص6

إثر ذلك ظهر عدد ممن حمل فكرة الدعوة إلى العامية بزعمهم أنها سبب تراجع وتخلف العرب. وقد حملت مجـلة المقتطف المصرية هذه الدعـوة فاقترحت كتابة العلـوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة بزعمها أن الخلاف بين لغة النطق ولغة الكتابة عند العرب هو علة تأخرهم[1]، وقد واجه كثير من المدافعين عن العربية هذه الدعوة وهاجموا أصحابها، فقد قوبلت بالرفض والاستنكار، يقـول لويس شيخو: "ومن العجب أن بعض المتشدقين أخذوا ينشرون مقالات لترويج اللغات لزعمهم أن تلك اللهجات أقرب إلى فهم الجمهور وأدعى إلى نشر العلوم العصرية، وهو فكر غريب لا يخطر لأحد من العقلاء على بال"[2].

وقد لفتت هذه القضية نظر النشاشيبي، فكتب فيها مقالا أثبته في مجلة الرّسالة غير أنه لم يفصّل فيها، ونرجع ذلك لكثرة من ردّ على هذه الدعوة وأصحابها، لذلك أثبت في مقاله آراء إبراهيم اليازجي مكتفيًا بها ليكشف عن رأيه فيها، أما موقفه منها فلا يصعب على كلّ قارئ لكلمته أو أي كتاب له تحدّث فيه عن العربية، فالنشاشيبي الذي خرج بقوة وعنف يدافع عن العربية الأصيلة النابعة من زمنها الزاهي، زمن الجاحظ والمتنبي، لا يمكن إلا أن يكون الحربة الأولى في وجه إسقاط الفصحى، لقد كان النشاشيبي رجل العربية الحماسي والمدافع الأول عنها في العصر الحديث، لذلك إنّ الرفض المطلق لأي دعوة غير دعوة الفصحى لغة محمد هو رأيه وموقفه.

إنّ العامية عند النشاشيبي هي العمى والبكم والصمم، وإن وراء هذه الدعوة نوايا خبيثة مخيفة، لذلك يطلب من مصر إغلاق دور التمثيل والإذاعة؛ لأن بضاعتها اللغة العامية، غير أن النشاشيبي لم تخفه مثل هذه الدعوة وكان إيمانه أنها لن تلحق ضررًا بعربية القرآن وهذا بحكم "أن الإقدام على هذا الإجرام سيدفع الأمة إلى الثورة. وإنا لنعلن أن من يثورون على أجنبيين أو أجنبيين كافرين يريدون سوءاً بلغتهم، ولغة بلادهم، ولغة آبائهم وأجدادهم، ولغة آدابهم، ولغة علومهم، ولغة دينهم ولغة قرآنهم، ولغة نبيهم - إن من يثورون على ذلك العدو اللعين سيثورون على عربيين

(1) ينظر: يعقوب، إيميل بديع: **فقه اللغة العربية وخصائصها**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت،1982، ص151.

(2) شيخو، لويس: **تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين**، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1926م، ص93

مصريين، وعلى مسلمين مؤمنين، وعلى أولياء وقديسين، وعلى من هم فوق الأولياء والقديسين إن أرادوا أن يكيدوا لهذا اللسان المبين كيد الدنلوبيين"[1].

وفي ظلّ الدّعوة إلى العامية ظهرت دعوة استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، فاقترنت الدّعوتان ببعضهما في وجه العربية الفصحى، وكان موقف إسعاف من الحروف اللاتينية كحال موقفه من العامية ذات العمى، فرفضها ورفض استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، وقد بيّن إسعاف في مقال (برانردشو والحروف اللاتينية) الذي أثبته في مجلة الرسالة أنّ (برانردشو) نقد الحروف الإنجليزية؛ لأنها مستوحاة من الحروف اللاتينية، وهي بعيدة عن اللغة الإنجليزية لغة أبناء التاميز، ومن هنا يتساءل إسعاف: "هل من الحكمة الاستغناء عن حروف الهجاء العربية التي تمتاز على الأقل بأنها وضعت خصوصاً للغة العربية، واستبدال حروف بها، وإن كانت حروف اللاتينية شائعة الاستعمال إلا أنها لا تناسب حتى هذه اللغات التي دأبت على استعمالها منذ أول عهدها بالكتابة"[2].

ويرى النشاشيبي في الحروف اللاتينية أنها حروف العربية قبل تهذيبها، ولكن كتبها كاتبوها من الشمال، وقد غلب فيها حروف المد وهذا ما هذبته العربية بالحركات فخفّت وسهل نطق حروفها، ومن تهذيب العربية أن اختزلتها واختصرت فيها، أما اللاتينية فبقيت مطولة متعبة للقارئ، فحق أن يسمى الحرف اللاتيني بالحرف المتعب، ويبدي النشاشيبي شفقته على الإنجليز فهم يتكلفون عند التلفظ فهم إن أرادوا لفظ حرف يحاكي (الذال) احتاجوا حرفين ليبلغوه وهما (Th) وإذا أرادوا نطق حرف يشاكل حرف (الشين) احتاجوا حرفين أيضا، وبهذا يدعو النشاشيبي إلى ترك الحرف اللاتيني واستخدام الحرف العربي[3]، وهو بذلك مؤمن بكمال الحرف العربي وسهولته مقارنة بحروف اللغات الأخرى وهذا على العكس ممن دعا إلى إصلاح الكتابة العربية.

---

(1) النشاشيبي، محمد إسعاف: **اللغة العامية والحروف اللاتينية، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 730، مجلد15، 30-6-1947م، ص26

(2) النشاشيبي، محمد إسعاف: **برانردشو والحروف اللاتينية، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 562، مجلد12، 10-4-1944م، ص12

(3) **نفسه:** ص13

ويعلّق النشاشيبي على اقتراح بعض المجلات العربية وكتّابها للدعوة إلى الكتابة بالحرف اللاتيني بقوله: "أمّا اقتراح الكتابة بالحروف اللاتينية، فهو كمقترح استعمال تيك العامية - ولكل إقليم عربي عامية بل بلية - والاقتراحان هما من بنات ليل المرء في وقت المرض. والأمم العربية قد أجمعت على أن تكون في هذه الدنيا في الكائنين لا أن تبيد مع البائدين. وإن وعوعة الباطل متلاشية، ودعوة الحق هي الباقية. وكتاب الدهر كتاب العربية يقول: فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"[1].

وخلاصة الأمر أنّ النشاشيبي رفض أي دعوة تمس العربية الفصحى، فكان رفضه للعامية والحروف اللاتينية موازيا لدفاعه عن العربية المضرية لغة الدّين والقرآن.

4- تيسير النحو:

كان النحو وما يزال مبعث شكوى كثير من الدارسين والمدرسين في العالم العربي؛ وذلك لكثرة علله وتفصيلاته وحواشيه التي امتلأت بها كتب النحو، فكان من ذلك أن ظهرت مجموعة من علماء اللغة تدعو إلى تيسيره وإزالة علله وتفصيلاته؛ حتى يسهل فهمه وتعليمه وتُحَقّق الغاية منه.

ولعل أول من ثار على النحو ودعا إلى تيسيره وإسقاط ما علق به من صعوبات ابن مضاء القرطبي في كتابه (الرّد على النحاة)، والذي هاجم فيه قضية العامل في النحو ونادى بتحطيمها؛ لأنها أحدثت في النحو ما ليس منه، وبيّن دعوته فقال: "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه"[2]، أمّا دعوته هذه فتتمثل في تنسيق أبواب النحو مع الاستغناء عن طائفة منها، وإلغاء الإعراب التقديري، وإسقاط إعراب ما لا يفيد إعرابه شيئًا في تصحيح الكلام[3].

إذن فدعوة تيسير النحو وتجديده ليست وليدة العصر الحديث، إنما هي قديمة جديدة استهل بها ابن مضاء القرطبي وتبعه كثير من الباحثين الذين رأوا مشاكل وصعوبات جمّة تواجه

---

(1) النشاشيبي، محمد إسعاف: **برانردشو والحروف اللاتينية، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 562، مجلد12، 10-4-1944م: ص 14.

(2) القرطبي، ابن مضاء: **الرّد على النحاة**، تحقيق شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1988م، ص76

(3) يُنظر: **نفسه**، ص4

المتعلمين، غير أنّ دعوة ابن مضاء القرطبي ذهبت أدراج الرّياح فلم يتلقّف دعوته أحد، وبقي النحو يدرّس على ما تواضعه علماء النحو القدماء في كتبهم.

ومع حلول عصر النّهضة في العصر الحديث أخذت دعوة التيسير والتجديد في النحو تبرز من جديد، وأخذت الشكوى من الصعوبات الملازمة له تزداد وتعلو، فكتب كثير من الباحثين في تيسيره بغية تذليل مشاكله، ولعل أشهر من كتب في هذا الجانب في هذا العصر إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو)، ومذهبه في هذا تقارب وابن مضاء القرطبي. فدعا إلى تخليص النحو من نظرية العامل وسلطانها وما أحدثته في انحراف النحو عن مقصده الذي وضع له، وعمل على اختصار أبواب النحو والاستغناء عن كثير منها[1].

وممن كتب في القضية طه حسين الذي رأى أن إحياء النحو وتجديده يتأتى من طريقتين: أولاهما أن يقربه النحويون من العقل؛ ليفهمه ويسيغه ويتمثله ويجري على تفكيره ولسانه وقلمه دون إعياء وصعوبة. والأخرى أن يشيع في النحو تلك القوة والفلسفة التي تحبب إلى النفوس درسه ومناقشة مسائله والجدال في أصوله وفروعه[2].

بعد ذلك سارت محاولات التيسير في اتجاه رسمي وأخذت مجامع اللغة تبحث في محاولة تيسيره وتسهيله على المتعلمين، وأخذت وزارة المعارف المصرية على عاتقها هذه القضية فوضعت لجنة للنظر في أمر التيسير[3].

كل تلك المحاولات في هذا العصر كانت في ظل ظهور تيارين لغويين، تيار المحافظين الذي تمسك أنصاره بعلوم اللغة كما وصلتهم من السلف دون تغيير أو تعديل، وتيار آخر مناقض للمحافظين دعا أصحابه إلى التجديد والتغيير وهو تيار المجددين ودعاته الذين قاموا بكل ما ظهر من محاولات لتيسير النحو وتذليله، وبين هذين التيارين وقع سجال وحوار ونقاش، وبين مدّ وجزر أخذت قضية تيسير النحو تبرز في الكتب والمجلات والصحف العربية.

---

(1) يُنظر: مصطفى، إبراهيم: **إحياء النحو**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م، ص195

(2) يُنظر: **نفسه**، مقدمة طه حسين

(3) ينظر: حامد، أحمد حسن: **السكاكيني في النهضة الفكرية المعاصرة**، ط2، مكتبة خالد بن الوليد، نابلس، 1997م، ص145

ولم يكن النّشاشيبي بعيدًا عن ما يدعو إليه دعاة التجديد من تيسير للنحو العربي، فهو أحد من تعلق بالقديم وآمن بقدسيته، وهذه العقيدة اللغوية حتّمت عليه أن يقف في أحد الصفين في قضية التيسير، وبحكم منهجه اللغوي فإن إسعافًا يبيّن رأيه فيها بقوله: "إن العربية كسائر اللغات وليست بأصعبهن، وإن نحوها وإن لطفت دقائقه وجلّت حقائقه إلا كنحوهن، وليست المشكلة في صعوبة اللغة أو سهولتها، ولا في قاعدتها، وإنما هي في المعلم والكتاب، فهما اللذان يسهلان ويصعبان، ومن ظن أو أيقن أن تقريب العربية أو تسهيلها هو في تهديم قواعد فيها فهو مهوّس يهذي أو موسوس يلغو وليست اللغة العربية ملك كاتب أو كويتب، أو أديب أو أديب، أو عالم أو عويلم حتى يتصرّف فيها تصرف المتملكين، كلا ثم كلا"[1].

فالنّشاشيبي مما سبق يرفض أن يكون نحو العربية مشكلة يشكو منها الدارسون، بل المشكلة في المعلم وتعليمه، فأسلوبه في التعليم هو من يحبب النحو إلى الفتى أو يكرهه، وتكمن أيضًا في الكتاب وتبيينه وتبويبه، فالمعضلة هي في التربية والتعليم لا في المادة والعلوم، ويصف النشاشيبي هذه الدعوة إلى التيسير بالفتنة والشر الأعظم، ويظهر هذا في تعليقه على مقترح وزارة المعارف المصرية فيقول: "كان مقترح الوزارة أو فتنة الوزارة، وجاء شر يقفوه شر، وأهرأ مهرئون، وانبرى الصبيان يقولون، ونطق الرويبضة واستنت الفصال حتى القرعى"[2].

وخلاصة الأمر أن النشاشيبي رفض هذه الدعوة رفضًا مطلقًا، وعدم تناوله لها بالدراسة والتحليل يكشف أنه لم يقبلها حتى مناقشة أو دراسة، وهذا موقفه وموقف كل المحافظين المتمسكين باللغة حفظًا لها من الضياع والاندثار.

5- ألفاظ اللغة:

---

(1) النشاشيبي، محمد إسعاف: **كتاب المبشرين الطاعن في عربية القرآن- مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد271، مجلد6، 12-9-1938م، ص25

(2) **نفسه:** ص26

قلت من قبل[1] إنّ النشاشيبي تعلّق بلغته واهتم بها ودافع عنها؛ كي تبقى مقدّسة في النفوس كما كانت في عصورها الذّهبية، وذلك للحفاظ عليها من الاندثار والوهن، وكان هذا نابعًا من إيمانه بأنّ العربية هي قوة الأمة وعزّتها، وهي الدين والقرآن، لذلك اهتمّ بألفاظها وتراكيبها؛ لأنّها الأساس في اللغة إذ إنّ ألفاظ اللغة وقدرتها على التعبير عن احتياجات أبنائها هو المحدد لتميّزها وتفوّقها.

لقد أبدى النّشاشيبي اهتمامه بألفاظ اللغة، فلم يغفل عنها على حساب المعنى خلاف أصحاب المنهج المعاصر الذين رأوا أنّ الألفاظ هي وسيلة لا غاية تدرك، فينظرون إليها أنها طريق لنقل المضمون والمعنى إلى القارئ، أما النّشاشيبي فقد رفض هذا القول؛ لأنه يوصل إلى سخافة القول وضعفه فإنكار أهميّة اللفظ على حساب المعنى مؤداه تَعَشُّشُ الألفاظ الساقطة التي تخلو من الصّفاء والنّقاء والبهاء، وفي تناوله لألفاظ اللغة ذهب إلى أنّ الألفاظ أربعة أقسام:[2]

أولًا: قسم عربي بحت وضعته اللغة في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، أو دخل إلى العربية من اللغات المختلفة كالفارسية فخالطها وعُدّ كأنه منها فهو أعجمي تعرب وعربيته عربية قويّة ومن أمثلة هذه الألفاظ ما جاء في القرآن مثل (الإستبرق).

ثانيًا: قسم ظهر في العصر الإسلامي ولم يكن موجودًا في الجاهلية، أو كان موجودًا ولكن بمعنًى مغاير لما استجدّ في الإسلام، ومن هذه الألفاظ: (المنافق والفاسق والمخضرم والكافر)، فهذه الألفاظ لم يعهد عن العرب أن استخدموها.

ثالثًا: مولّدة محدثة نشأت خارج الجزيرة العربيّة، ومن أمثلة هذه الألفاظ (الكابوس) الذي يقع على النّائم، غير أنّ هذه الألفاظ المولّدة ظهرت قديمًا وليست في العصر الحديث فقد أوردتها المعاجم مبيّنة أنها ليست عربيّة.

---

(1) ينظر في هذا الفصل تحت عنوان (اللغة عند النشاشيبي) ص24

(2) يُنظر: النشاشيبي، محمد إسعاف: **الألفاظ العربية، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 194، مجلد5، 22-3-1937م، ص21

رابعًا: معرّبة وهي ألفاظ غير عربيّة تفوّهت بها العرب على مقاييسها، ومثل ذلك لفظة (المهندس).

ويظهر من هذا أنّ النّشاشيبي قصر الألفاظ العربية الخالصة على تلك الألفاظ التي ظهرت في الجاهلية حتى القرن الرابع ويظهر تورعه في إدخال الألفاظ المعرّبة أو المولّدة في العصر الحديث على أيدي عامة الناس وإنما يُقر ما أقره اللغويون المعاصرون في المجامع اللغوية والمحافل العلمية، ويظهر موقفه من تلك الألفاظ المعاصرة واضحًا في قوله: "أمّا الألفاظ المولّدة في العصور السّخيفة والألفاظ العامية فنبذها فرض، ولكل لسان أسلوب والتّسامح في هذا الشّأن الآن فيه الهلاك"[1].

ولحفظ الألفاظ من الضياع، وحماية العربية من تداخل الألفاظ المتهالكة الساقطة فيها، يدعو النشاشيبي إلى وضع معجم يثبتّها ويثبّت عربيّتها، ويضع أقسامًا للألفاظ التي يجب إيداعها في هذا المعجم، وهي ستة أقسام:[2]

أولًا: ألفاظ عرفها أصحاب المعاجم اللغوية فأودعوها معاجمهم.

ثانيًا: ألفاظ شردت عن أصحاب المعاجم وقد وردت في كلام العرب الموثوق بعربيتهم.

ثالثًا: الألفاظ المولدة واللغة لغة والناس ناس، أي الألفاظ التي ولّدت في عصور اللغة العربية وهي في حالة قوية لا كما هي في العصر الحديث وربما يقصد الألفاظ المولدة حتى عصر الاحتجاج؛ لأن اللغويين أوقفوا إدخال ألفاظ إلى العربية بعد هذا العصر.

رابعًا: الألفاظ المعربة في الأزمنة الكريمة، عصور الاحتجاج فاللغويون وقفوا بالتعريب عند هذه العصور.

خامسًا: الألفاظ العلمية في جميع ضروب العلم التي وضعها الاحتجاج العلمي.

---

(1) النشاشيبي، محمد إسعاف: **الكلمات غير القاموسية**، مجلة المجمع العلمي العربي، مج8، ج5، 1928م، ص286

(2) يُنظر: النشاشيبي، محمد إسعاف: **الكلمات غير القاموسية**، مجلة المجمع العلمي العربي، مج8، ج5، 1928م، ص285

سادسًا: ألفاظ وضعها علماء اللغة في هذا الزّمن واستجيدت واستعملت

فهذه هي الألفاظ التي يقرّها إسعاف ويقر أنها عربية محضة، وهي في معظمها تلك الألفاظ التي استعملها العرب القدماء في كلامهم سواء كانت أصيلة أم معربة أو مولدة، وبذلك يبقى النّشاشيبي في دائرة المحافظين الذين يتمسكون باللغة كما وصلت إليه، فيرى أنّ هذه اللغة يجب أن تسود العصور جميعًا، لا تلك اللغة المبتذلة التي تُدعى باللغة المعاصرة.

ثالثًا: استدراكاته اللغوية:

لقد كان النّشاشيبي حجة في اللغة عالمًا بها ومحيطًا بالنصوص القديمة والعلوم اللغوية ما أكسبه أسرار اللغة وناصيتها، ويرجع ذلك إلى انكبابه على قراءة الكتب اللغوية في مظانّها مدّة طويلة، وهذا ما شهد له أدباء عصره، ومعرفته هذه "أكسبته قدرة على تذوق النّص وعلى التمييز بين الأساليب العربية الصحيحة والأساليب المستحدثة، وعلى معرفة الخطأ والصّواب في لغة الكتّاب"[1]، ومن هذا الجانب كان كثير من كتاباته تعتمد على الاحتفال بسلامة اللغة وصحّتها، فكان يتتبع أخطاء الكتّاب اللغوية ويصوّبها.

وقد حفلت مجلة الرّسالة في صفَحاتها كثيرًا مما كتبه النّشاشيبي مستدركًا على الكتّاب أخطاءهم في اللغة وألفاظها وموجهًا إليهم الصّواب، ومن استدراكاته ما كتبه في مقال عنوانه (نيابة بعض حروف الجر عن بعض) وفيه يستدرك على الأستاذ (محمد عبد الغني حسن) الذي بيّن في مقال له أنّ الفعل (يتفيأ) يتعدى بالباء أو بنفسه، وتعديته باللام صحيحة، وذلك بحكم نيابة حروف الجر بعضها عن بعض، فيستدرك النشاشيبي على حسن في ذلك، ونراه يعرض لموقف النحاة من نيابة حروف الجر عن بعضها، فيعرض لرأي نحاة البصرة لهذه القضية متبعها بأمثلة، فيقول: يقول البصريون: إما يتضمن العامل معنى عامل آخر يتعدى بذلك الحرف، كما في قوله تعالى: "وأحسن بي إذ أخرجني من السجن"[2]. فالفعل (أحسن) لا يتعدى بالباء، فضَمن معنى (لطف)؛ وإما أنّ الحرف الذي تعّدى به العامل قد استعير لمعنى الحرف الذي كان ينبغي أن يتعدى به، وذلك كقول طرفة:

وإن يلتق الحي الجميع تلاقني إلى ذروة البيت الكريم المصَّمد[3]

فقد استعيرت (إلى) لمعنى (في)، إذ إن (تلاقني) لا يتعدى بإلى[4].

---

(1) الحسيني، إسحاق موسى: **أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي**، ص72

(2) سورة يوسف: آية 100

(3) ابن العبد، طرفة: ديوان طرفة بن العبد، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، 1980م، ص43

(4) ينظر: النشاشيبي، محمد إسعاف: **نيابة بعض حروف الجر عن بعض**، **مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 415، مجلد9، 16-6-1941م، ص 36

ولا يكتفي برأي البصريين بل يعرض رأي نحاة الكوفة في هذه القضيّة ويوضّحه ويضرب أمثلة عليه، فيقول: "وأما الكوفيون فيقولون: إن بعض حروف الجر ينوب عن بعض بطريق الوضع: أي إن الحرف موضوع لأكثر من معنى واحد، فهو مشترك وضعاً بين جميع ما ورد له من المعاني؛ فبعضها يكثر استعماله، وبعضها يقل، فيوهم وضع ذي المعنى قليل الاستعمال موضع الكثير أن هناك معنيين اشتمل عليهما العامل: فلا تجوز عندهم في الحرف. وإنما هي نيابة محضة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "من إن تأمنه بقنطار"(1) فيرى الكوفيون بذلك أن (على) و (الباء) وضعتا لمعنى الاستعلاء"(2)، بدليل قوله تعالى: "هل آمنكم عليه بقنطار"(3)

وبعد أن يعرض آراء النحاة ومناقشتها نراه يعود ويحكم في القضيّة التي يتناولها فيقول: "وقد رأيت في قول الأستاذ أنه أجاب على تعدية (يتفيئوا) باللام بأنه ليس خطأ، ويظهر أنه اعتبر اللام نائبة عن الباء، ولم أر فيما لديَّ من المراجع أن اللام تنوب عن الباء، ولكنهم قالوا بنيابتها عن (في) كما في قوله تعالى: "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة"(4)، وكقوله: "لا يجلبها لوقتها إلا هو"5 وكما في قولهم: (مضى لسبيله)"(6).

ومن استدراكاته اللغوية في مجلّة الرّسالة ما ردّ فيه على أحد كتّاب المجلة، وقد جمع كلمة (فخور) على (فخورين) فيخطّئ إسعاف هذا القول، ويصوبه بأن العربية جمعت (فخور) على (فُخُر) ويدلل على ذلك بشاهد من ديوان طرفة:

ثم زادوا أنهم في قومهم غُفُر ذنبهم غير فُخُرْ(7)

---

(1) سورة آل عمران: آية 75

(2) النشاشيبي، محمد إسعاف: **نيابة بعض حروف الجر عن بعض، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 415، مجلد9، 16-6-1941م، ص37

(3) سورة يوسف: آية 64

(4) سورة الأنبياء: آية 47

(5) سورة الأعراف: آية 187

(6) النشاشيبي، محمد إسعاف: **نيابة بعض حروف الجر عن بعض، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 415، مجلد9، 16-6-1941-6م، ص37

(7) ابن العبد، طرفة: ديوان طرفة بن العبد، ص83

ويستدرك على نفس الرّجل في إدخاله (هل) على نافٍ، فيبيّن النشاشيبي أن (هل) لا تدخل على نافٍ [1].

يظهر لنا من القول السّابق أن النشاشيبي سلك مسلك النّقاد اللغويين في تناول اللغة أمثال ابن فارس والآمدي والزبيدي، فهم يرفضون أي تركيب أو مفرد لم يسمع عن العرب، وقد شابه إسعاف في هذا من اللغويين المحدثين إبراهيم اليازجي، فهو أستاذه الذي تتلمذ على يديه، وبهذا نراه يرفض جمع (فخور) على (فخورين) لأنّها لم تسمع عن العرب، واعتمد على الجمع الذي استعمله العرب قديمًا وقد ورد في بيت طرفة الذي احتج به، غير أن هذا اللفظ (فخورين) استعمل حديثًا وقد جاء به معجم اللغة العربيّة المعاصرة، فيظهر من هنا تزمت النشاشيبي في لغة القدماء، ورفضه أي لفظ لم يأت في أقوال العرب الأوائل.

ومن تعلّقه بالقديم ما استدركه النّشاشيبي على أحد شعراء عصره في قوله (ميلاد أحمد كان مولد أمة.. عربية وشريعة سَمْحاء) فقد أنكر عليه قوله (سمحاء)؛ لأن العرب لم تقلها ويستشهد بأقوال الزبيدي فيقول: "والذي أعرفه أنه يقال: (سمحة) لا (سمحاء)، فإن من معاني السماحة السهولة واليسر ففي التاج: (الحنيفية السمحة: هي الملة التي ما فيها ضيق ولا شدة)"[2]، فكلمة (سمحاء) بنظره ليست فصيحة، وإنما خطأ ظهر في العربية ولم يتكلّم به العرب، فهو يرفض استخدام المعاصرين لها، ويتزمت في القديم، فالمعاصرون "قاسوا (سمحاء) على نظائرها عجفاء وحمقاء ورعناء وخرقاء دون اعتبار شكل المذكر، وقد وردت سمحاء في معجم اللغة العربية المعاصرة المكتوبة"[3].

وفي مجلّة الرّسالة يضع النّشاشيبي مجموعة مقالات يعرض فيها أخطاء فاحشة في النحو واللفظ والتركيب - كما يرى- جاءت في كتاب (المبشرين) لهاشم العربي، فكانت نقدًا لغويًا لما جاء في هذا الكتاب، ومما جاء في نقد إسعاف له:

---

(1) يُنظر: النشاشيبي، محمد إسعاف: **في مقالة الأستاذ السّباعي بيومي، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 402، مجلد9، 17-3-1941م، ص40

(2) النشاشيبي، محمد إسعاف: **في اللغة، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 407، مجلد9، 1-4-1941م، ص45

(3) عمر، أحمد مختار: **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**، عالم الكتب، القاهرة، 2008م، 450/1

جاء في كتاب المبشرين قوله (مدعاة إلى الشّك معثرة للضعفاء)، فيبيّن إسعاف خطأ هذا التركيب ويستدرك عليه، ويردّ "قلت: قول المبشرين معثرة- خطأ، ولهم في العربيّة المزلّة والمضلّة، وقد أرادوا أن يقيسوا فوقعوا في العاثور، وفي تاريخ بغداد أنّ بعضهم طلب النّحو فذهب يقيس فلم يجئ، فقال: قلب وقلوب، وكلب وكلوب، فقيل له: كلب وكلاب"[1]

ففي هذا الاستدراك والنقد اللغوي يكشف النشاشيبي عن ثقافته في إبطال التركيب الخاطئ، ويضرب أمثلة تحاكيه، غير أنه لا يقاس عليها، ونراه يعتمد على كتاب (تاريخ بغداد) ليبيّن أنه لا يقاس على كلمات متشابهات، فقلب تجمع قلوب، غير أن كلب لا تجمع على ما جمعت عليه قلب رغم تشابههما.

ومن استدراكاته أيضًا على كتاب المبشرين ما جاء في الكتاب: (أو أن يرجع إليها منشد) فيطالعنا إسعاف بقوله ردًا على هذا القول، ويقول: "مقصود الكتاب يقتضي النّاشد، وفي أكثر كتب الأدب واللغة، النّاشد الطالب والمنشد المعرِّف. قال التبريزي في شرح المعلّقات: نشدت الضّالة إذا طلبتها وأنشدتها إذا عرفتها. ومثل ذلك في الصّحاح والأساس والنّهاية، وروى الأساس والجمهرة: (يصيخ للنبأ أسماعه ... إصاخة النّاشد للمنشد)، وفي (اللسان) قال أبو عبيد: المنشد المعرّف، والنّاشد هو الطّالب. وما يبيّن لك أنّ النّاشد هو الطالب حديث النبي حين سمع رجلًا ينشد ضالة في المسجد قال: (يا ايها النّاشد غيرك الواجد) معناه لا وجدت، وقال ذلك تأديبًا له حيث طلب ضالته في المسجد"[2].

إنّ النشاشيبي في هذا النص يبدي اللفظ الصحيح الذي أراده كتاب المبشرين، ولكنّ الكتاب أخطأ في الوصول إلى اللفظ، وبرهن النشاشيبي على صحة قوله معتمدًا على كتاب التبريزي في شرحه للمعلقات، وبعض الكتب في الأدب واللغة، واعتمد على معجم (اللسان) واستحضر شاهدًا من أقوال الرّسول، وذكر بيتًا من أشعار العرب، إنّ كلّ هذا يبرز صورة جليّة لثقافة واسعة وإحاطة

(1) النشاشيبي، محمد إسعاف: **كتاب المبشرين، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 280، مجلد6، 14-11-1938م، ص29

(2) **نفسه:** ص30

كبيرة بكتب اللغة والنحو عند النشاشيبي، فهو يستشهد بعلماء النحو ويأتي بشواهد يوضحها ويناقشها.

وبما أنّ النشاشيبي كان مطبوعًا على العرب القدامى، وشابههم في سعة ثقافته ومعرفته باللغة فلم يتهيّبهم بل ناقشهم كأنّه واحد منهم، ولم يقتصر بذلك استدراكه اللغوي ونقده على معاصريه، وإنما ناقش واستدرك على اللغويين القدامى، ومن ذلك ما كتبه في لفظة (برهن) وأخذ مأخذا على ابن منظور فيها إذ كتب في (اللسان): "أمّا قولهم: برهن فلان فهو مولّد، والصّواب أن يقال: (أبره) إذ جاء بالبرهان كما قال ابن الأعرابي إن صحّ عنه"[1].

فيرى إسعاف في (برهن) ما قاله ابن منظور لفظ مولّد وهو الصّواب، أما قوله (أبره) فهي خطأ فاحش لم يقله عربي ولا أعرابي ولا إسلامي ولا محدث، ويقول: "إنّها لفظة بشعة منكرة والعياذ بالله، وقول اللسان (إن صح عنه) يدل أنها لم تصح عنه، ولو رواها ابن الأعرابي، واستند إلى الأعرابي لرددنا روايته، وإن كان افتعلها فهو من الآثمين"[2].

ويعجب النشاشيبي من الزمخشري إذ أورد في كتابه (الأساس) لفظة (المبرهنين) ثم يقول: إن العرب تقول (أبره) وهي من البرهان، ويعني به بيان الحجة أمّا (برهن) فهو لفظ مولّد، فينكر إسعاف عليه قوله هذا ويقول: "أبره ليست من كلام العرب، وإذا صحّت عندك فكيف آثرت مولّدة على العربية فلم تقل من (المبرهين) نعوذ بالله، والله لو قلتها لشوّهت تلك الديباجة البارعة الباهرة، والبرهان يا أبا القاسم لفظة استعرناها في الجاهلية من الجيران، والناس تعير وتستعير، والأمم تعطي في كلّ زمان"[3].

ومن هنا يظهر أنّ النشاشيبي تعلّق بالقديم الفصيح وتمسك به وحافظ عليه كما هو، فنراه يتزمّت في الكلام الفصيح ولا يقبل سواه، أمّا قبوله ألفاظًا مولّدة في اللغة كبرهن وما شاكلها لا يعني تأييده للمعاصرين في آرائهم؛ بل لأن هذه الألفاظ المولدة قبلتها العربية في عصور قوتّها وأصبحت جزءًا منها، وأكبر الأمثلة على ذلك لفظتا (سندس) و(إستبرق) اللتان دخلتا العربيّة من الفارسيّة وقد

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت، 1993م، مادة (بره)

(2) النشاشيبي، محمد إسعاف: **أحاديث ماشية مع الزمن، مجلة المجمع العلمي العربي**، مج 19، ج3، 1944م، ص117

(3) نفسه: ص117

أقرّهما القرآن الكريم، فهذه الحريّة اللغوية التي قبلها كانت بحدود ما قبلته العربيّة في عصورها الذهبية، ويظهر لنا من ذلك تذبذب النشاشيبي في استعماله للألفاظ المولدة والمعربة حديثًا فنراه يقر ما صدر منها عن اللغويين المعاصرين وفي أوقات أُخر يتمسك بتلك الألفاظ الصادرة عن العرب قديمًا لا غير.

أمّا قول إبراهيم العَلم في أن النّشاشيبي "مال في السنوات العشر الأخيرة من عمره إلى اليسر في التّعامل مع اللغة، فترخّص في استعمال ألفاظ تداولها العامة وأنف منها الخاصة"[1] فهو قول غير دقيق، وقد استشهد العَلم في رأيه هذا أنّ النّشاشيبي قبل لفظة (بوز) المعرّبة من الفارسيّة، والصّحيح أنّ هذه اللفظة كما بيّن النّشاشيبي مولّدة أو معرّبة منذ قرون طويلة فالعربيّة قبلتها من الفارسية كحال (سندس وإستبرق) فيقول: "وقد ظن بعضهم أن هذه اللفظة عامية، والصحيح أنها معربة أو مولودة وهي - إن لم تكن نوحية ـ ألفية عمرها ألف سنة، وقد استعملها كبار الأدباء"[2]. وأثبت النّشاشيبي وجودها في كتب اللغة القديمة[3]، فالنّشاشيبي لم يجوّز هذه اللفظة بذاته وإنّما أقرّها لإقرار العربيّة لها واستخدام اللغويين القدامى لها، ونزعم أنها لو جاءت من طريق المعاصرين لرفضها ومنع قبولها.

ومما كتبه في ذلك إقراره كلمة (بس) على أنها عربية كل العربية، مع أنّ أصلها فارسي، وقد أورد شواهد على وجودها في كتب الأدب واللغة[4]. ويظهر، من هذا، العلم الواسع باللغة عند إسعاف، الأمر الذي مكّنه من مجاراة الأقدمين فيها، وكان بمنهجه هذا زميتًا متشددًا يؤثر الأفصح وينقر عنه، ويحكم بالخطأ على ما سواه، وهذا هو منهج المحافظين الذين يرون في موقفهم من اللغة

---

(1) العلم، إبراهيم: إسعاف النشاشيبي ناقدًا- كتاب **أبحاث عن أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، عصره، حياته، أدبه وفكره**، ص192.

(2) النشاشيبي، محمد إسعاف: **الألفاظ العربية، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 194، مجلد5، 22-3-1937م، ص21

(3) وردت في (معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلي معرفة الأديب) لياقوت الحموي، جاء فيه: "شبهت مولاي الشيخ وهو يتحدث ويقول ببوزه كذا وبيده كذا بقرد رأيته اليوم عند صعودي إلى دار المملكة وهو على شاطىء دجلة يفعل مثل ما يفعل مولاي الشيخ" (ينظر: الحموي، ياقوت: معجم الأدباء- إرشاد الاريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، 1586/4)

(4) جاء في تاج العروس: "بس كلمة فارسية، وليس للفرس في معناها سواها، وللعرب حسب، وبجل، وقط - مخففة - وأمسك واكفف، وناهيك، ومه، ومهلا، واقطع، واكتفً" (انظر: الزبيدي، مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، مادة بسس)، و(يُنظر: النشاشيبي، محمد إسعاف: **بَس، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد279، مجلد7،6-11-1938م، ص70)

"أنه طبيعي تحتّمه عليهم الرّغبة في الاحتفاظ بنقاء اللغة وصفائها، ومنع تسرب عوامل الفساد والفناء إليها"[1].

لقد ترك إسعاف النشاشيبي مقالات كثيرة ينقد فيها لغة كتّاب عصره ويستدرك أخطاءهم، وتعدى ذلك في نقد بعض اللغويين القدامى، وما عُرض في هذا البحث جزء مما كتبه وعرضه في المجلات، وفيه يمكن القول إن للنشاشيبي باعًا طويلًا في النقد اللغوي وتصويب لغة الكتّاب والأدباء، وهو بحق نموذج لأولئك اللغويين الذين عاشوا في القرن الثالث والرابع الهجري، إنه صاحب ثقافة موسوعية في اللغة فكان لقب أديب العربية ملازمًا له.

(1) العزّاوي، نعمة رحيم: **النّقد اللغوي بين التحرر والجمود**، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، 1984م، ص26

الفصل الثاني

البحث اللغوي عند الحسيني

أولا: المصادر المكونة للمنهج اللغوي عند الحسيني

ثانيًا: آراؤه في القضايا اللغوية

- اللغة عند الحسيني
- الأسلوب اللغوي
- العامية والفصحى
- الحروف العربية والحروف اللاتينية
- الاختصار
- التعريب
- خصائص اللغة العربيّة

ثالثًا: آراؤه في الأصوات والنحو والعروض

أولًا: المصادر المكونة للمنهج اللغوي عند الحسيني

اهتم إسحاق الحسيني بالحياة العلمية اهتماما جمًا، ولأجل ذلك حرص على أن تكون ثقافته متنوعة ومتعددة فكان منفتحا على الثقافات والآراء المختلفة، ولم يكن يومًا متقوقعًا على نفسه إذ إنه حاول بشتى الطرق الإفادة من غيره، وبذلك كانت ثقافته واسعة لم يقصرها على طريق واحد، فكتب في اللغة والأدب والنقد والدِّين وغير ذلك من الموضوعات التي تدلل على سعة ثقافته، وما يهم في هذا البحث الجانب اللغوي من ثقافته.

لقد كان إسحاق الحسيني جزءًا أصيلًا من لغته التي اعتز بها، فكان عَلما بفكره ومنهجه وثقافته بحق، هذا الفكر الذي استقاه من منابع مختلفة في بادئ حياته تكوّن فيما بعد وتشكل وأصبح عنوانا له بعد أن صقله بتجاربه وثقافته التي اكتسبها من حياته الثرية بالعلوم والمعارف، فتكوّن منهجه الذي اتسم بالتجديد والدعوة إلى الأساليب الحديثة متأثرا بالمناهج الغربية وأفكارها والأساتذة المستشرقين الذين تتلمذ على أيدهم، وبذلك يمكن حصر المصادر التي استقى منها منهجه وأساليبه أو بعضا منها في الجانب اللغوي بثلاثة مصادر:

أولًا: المرحلة التعليمية الأولى.

ولد الحسيني في ظل عائلة تمتاز بالعلم وتعيره جل الاهتمام، وكغيره من الأطفال التحق بالكتاتيب والمدارس التعليمية إلا أن تعلمه الأولي لم يكن ذا تأثير بفكره ومنهجه اللغوي الذي تكوّن فيما بعد، واستمر ذلك إلى أن التحق بالمدرسة الرشيدية فتتلمذ فيها على يد إسعاف النشاشيبي صاحب النهج الأصولي القديم في تناوله اللغة العربية، وتتلمذه أيضا على يد معلمه نخلة زريق الذي شابه النشاشيبي في تناوله اللغة العربية.

كانت هذه البداية الأولى التي ارتبط فيها الحسيني باللغة العربية، وبدأت اللغة منذ هذه الفترة بالتغلغل في فكر الحسيني ونفسه، وكان لإسعاف النشاشيبي الدور الأبرز في توجيه الحسيني نحو العربية، وقد ذكر الحسيني فضل النشاشيبي عليه، فقال: "وفي الرشيدية ظهر ميلي إلى العربية بتوجيه إسعاف النشاشيبي، فقد قرأنا عليه مختارات من ديوان الحماسة لأبي تمام، وشواهد شرح

المفصل للزمخشري، وقطعا من الكامل للمبرد، وجزءًا من القرآن الكريم بتفسير الكشّاف"[1]، ومن هذا الفكر الإحيائي الأصولي للغة أخذ ينهل الحسيني فدرس كتب القدماء اللغوية والأدبية حتى أخذت تتشبع نفسه بالعربية، وأقبل عليها إقبال المتلهف الظمآن فاشتد ولعه بالأدب العربي القديم، وحفظ مئات الأبيـــات الشعرية، وجمع من كتب التراث ما استطاع.

عمل النشاشيبي على توجيه تلميذه نحو العربية الأصيلة التي تكلم وكتب بها الجاحظ وأبو تمام، ما زاد من تعلق الحسيني بالعربية وحبه لها، فكان تأثر الحسيني بالنشاشيبي تأثرا كبيرا إذ كان السبب في إقباله على دراسة العربية، ويذكر الحسيني هذا الأثر فيقول: "تتلمذت على يد أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي مدة سنتين فنهلت من علمه ما شاء الله لي أن أنهل، وأبرز ما رسخ من دروسه حب اللغة العربية حبا سيطر عليّ حتى في مدة اغترابي أربع سنوات متواصلة في الغرب"[2].

ومن يلحظ السيرة الذاتية التي سرد فيها الحسيني مقتطفات من حياته في مجلة الفجر الأدبي يجد أن الحديث عن إسعاف في هذه السيرة أخذ مساحة واسعة رغم أن الحسيني يسرد سيرته، فتحدث فيها عن طريقة النشاشيبي اللغوية، وما ذلك إلا لتأثر الحسيني الكبير بأستاذه إسعاف الذي زرع في نفسه نهم الإقبال على هذه اللغة.

وكما تأثر الحسيني بأستاذه النشاشيبي في تعلم العربية، تأثر كذلك بأستاذه نخلة زريق وإن كان ذلك بدرجة أقل، وكان زريق يسير في أسلوبه أسلوب النشاشيبي، فقد حبب إليه لغة القدماء وسار في تدريسه على أساليبهم، وذكر إسحاق فضل النشاشيبي وزريق عليه وأثرهما في ثقافته اللغوية في مجلة الشراع، فقال فيهما: "درسان لن أنساهما: الأول لقنني إياه المرحوم إسعاف النشاشيبي يوم كان مديرًا للمدرسة الرشيدية وأستاذًا للّغة العربية فيها في أوائل سني الانتداب. ذهبت إليه مع عدد من الزملاء كنا ندرس عليه وقلنا له: أنت أديب العربية في بلادنا، ونحن نريد أن نصبح كتّابا كبارا مثلك، فماذا تنصحنا؟ فنظر إلينا، ولم يكن أكبرنا يتجاوز السادسة عشرة، وقال

(1) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **من ذكريات العمر(حياتي المدرسية)، مجلة الفجر الأدبي**، عدد33، السنة الثالثة، حزيران 1983، ص17

(2) الحسيني، إسحاق موسى: **خليل السكاكيني الأديب المجدد**، ط1، القدس، مؤسسة دار الطفل العربي، 1989م، المقدمة

بشيء من الشفقة: كتّابا كبارا!، قلنا: نعم. قال: حسنا. أكتبتم شيئا؟. قلنا: نريد أن نصدر مجلة. فضحك وقال: لا يمكن أن يكون الإنسان كاتبا إلا بعد أن يقرأ عشرات الكتب من نفائس التراث العربي القديم، الكتابة الجيدة تأتي بعد امتلاء ... وأذكر بعد ذلك أن اشتد ولعنا بالأدب العربي القديم وحفظنا مئات الأبيات وجمعنا من كتب التراث ما وصلت إليه قروشنا القليلة ... والدرس الثاني لقنني إياه المرحوم المعلم نخلة زريق، يوم كان أستاذا للعربية في الكلية الإنجليزية في القدس، ذهبت لزيارته في البيت فقال لي: أريد أن أهديك كتابًا شريطة أن تعدني بقراءته. وقدّم إليّ كتابا اسمه (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل) لعبد القادر الجزائري، وعكفت على قراءة الكتاب وما أتممته حتى شعرت أني كبرت عشرات السنين. ولا أنسى هذا الكتاب ما حييت، فقد وجهني نحو التفكير وتقييم الأقوال بقيمها الذاتية لا بأصحابها ونبذ التقليد وحب القراءة"[1].

وبهذا تأثر الحسيني بالنشاشيبي ونخلة زريق، وكان تأثره بالنشاشيبي أكثر وأكبر فكان هو الذي حبب إليه اللغة وقربه منها ودفعه إلى الإقبال عليها، ودرس منه المنهج القديم منهج الأصوليين من اللغويين سالكا مسلك القدماء في دراسة اللغة، وكان تأثره هذا هو أول المصادر الثقافية اللغوية التي نهل منها الحسيني لغته العربية.

ثانيًا: تأثره بالحياة الأدبية التجديدية واحتكاكه بأساتذة المنهج اللغوي المعاصر.

رغم أن الحسيني نهل في بداياته اللغوية من أساتذة المنهج اللغوي الأصولي الذي يتمسك بالتراث القديم ويجله ويعظمه، إلا أن ذلك لم يمنعه من التوجه نحو التجديد والحياة اللغوية المعاصرة، فبعد أن سافر الحسيني إلى القاهرة لإكمال دراسته الجامعية أخذ يحتك بالحياة الأدبية في مصر، في وقت كانت مصر محط أنظار كثير من الأدباء والعلماء، وأخذ الحسيني يفيد من بعض أدباء مصر ممن كانوا يحملون المنهج التجديدي أمثال عباس العقاد وعبد القادر المازني، ومن أبرز من تأثر بهم الحسيني في مصر الأديب طه حسين، صاحب الدعوات التجديدية في الأدب، فقد لازمه الحسيني واستمع محاضراته التي كان يلقيها في أمسيات أدبية.

---

(1) الحسيني، إسحاق موسى: **تعلمت من الناس تجارب من الحياة، مجلة الشراع**، عدد10، السنة الأولى، نيسان 1979م، ص6

ولعل أبرز أساتذة المنهج اللغوي التجديدي الذين تأثر بهم إسحاق تأثرا كبيرًا هو خليل السكاكيني صاحب الدعوات التجديدية في اللغة والداعي إلى تطوير اللغة بما يتناسب والعصر الحديث، ورغم أن الحسيني لم يتتلمذ على يد السكاكيني، إلا أن تأثره به كبيرا، وكان من أثر ذلك أن خصه بكتاب تناول فيه حياته وأدبه ولغته، ومبينًا فضله في إحياء اللغة وتجديدها.

وإذا ما قرأنا مؤلفات إسحاق الحسيني نجد أنها تسير في الأسلوب الذي سار عليه السكاكيني وهو تيسير اللغة للمتعلمين، وإبعادها عن الحشو والتعقيد، لذلك نجد المنحى التربوي الذي برع فيه السكاكيني يظهر جليًا عند الحسيني، فنرى كتابه أساليب تدريس اللغة العربية وكتابه العروض السهل وغير ذلك من آثاره التي تسير نحو السهولة واليسر، وكان الحسيني قد خالط السكاكيني في أثناء مكوثه في مصر إذ أورد السكاكيني في يومياته بعض لقاءاتهما، ولعل الحسيني كان بأسلوبه أقرب إلى السكاكيني منه إلى النشاشيبي، فقد بالغ النشاشيبي في نظر الحسيني "وغالى غلوًا شديدا في التمسك بالقديم، فقد كان يثبت اللفظة القديمة في النص ويحيل القارئ إلى الشرح، وغالى في نقد المجددين"[1].

ثالثا: تأثره بالمناهج والأساليب اللغوية عند المستشرقين.

عاش الحسيني فترة من الزمن في بريطانيا ليكمل دراسته في جامعة لندن، فالتحق بمعهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة لندن، وفي أثناء إقامته هناك التقى بكثير من المستشرقين الذين عكفوا على دراسة العربية وآدابها، وقد ترك هؤلاء المستشرقون أثرا في منهج إسحاق وأسلوبه اللغوي، ويمكن القول إن الأثر الأكبر الذي تأثر به الحسيني هو ما كان من هؤلاء المستشرقين، فأخذ منهم أسلوبهم في البحث وطرق دراستهم، وقد أثنى عليهم وذكر مناقبهم، فكانوا ذا أثر في نفسه كبير.

وكان من أبرز أساتذته المستشرقين الذين تأثر بهم أستاذه (هاملتون جب)، الذي أشرف على دراسته التي نال بها درجة الدكتوراه، فذكر الحسيني فضله وأثره عليه في ثقافته، فقال فيه:

---

(1) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **من ذكريات العمر– الحلقة الرابعة، مجلة الفجر الأدبي**، عدد 29، السنة الثالثة، حزيران 1983، ص18

"لا بد أن أسجل أصدق الشكر لأستاذي هـاملتون جب، أستاذ العربية في جامعة أكسفورد، الذي بصّرني بلغتي وآدابها، وحباني عطف الوالد، ونصح الصديق، في أثناء دراستي في لندن، ولولاه لما كتبت يدي سطرًا، ولما حلّت في نفسي الذكرى"[1].

تأثر الحسيني ببعض المستشرقين، بأساليبــهم ومناهجهم وطرقهم في تناول اللغة وإقبالهم على الدراسة والبحث، وكان من أثرهم هذا أن وضع كتابه علماء المشرقيات يذكر فيه فضلهم ويدعو إلى الاقتداء بهم والسير بنهجهم، ومن مناهج المستشرقين وأساليبهم التي أعجب الحسيني بها أنّهم ينحون نحو الإيجاز في دراساتهم مع العمق في تناول الموضوع، وإذا ما نظرنا إلى مؤلفات الحسيني نجده قد تأثر بهذا، فلا نجد له بحثا أو دراسة مطولة وإنما دراساته مركزة موجزة دقيقة، فلا يحكم على الموضوع بحجمه وكثرة صفحاته وإنما بقيمته ودقته، وهذا هو أسلوب علماء المشرقيات.

وبتأثره بعلماء المشرقيات أتاح له توسيع ثقافته خاصة اللغوية، منها بحكم دراسته اللغوية في لندن وبذلك تنوعت مصادر ثقافته اللغوية من تأثر بالمنهج الأصولي صاحب الأساليب القديمة إلى تأثر بالمنهج اللغوي التجديدي المعاصر، وتأثره بالأساليب اللغوية الغربية وبخليط هذه المصادر المختلفة كوّن الحسيني منهجه وأسلوبه الذي انماز به.

ثانيا: آراؤه في القضايا اللغوية.

1- اللغة عند الحسيني:

(1) الحسيني، إسحاق موسى: **علماء المشرقيات في إنجلترا**، ص1

عني الحسيني باللغة العربية عناية فائقةً، واهتم بها اهتمامًا جمًّا، فمنحها من وقته الكثير، ومن مؤلفاته الشيء الكبير، ولعل ارتباطه الوثيق بالعربية زاد من ارتباطه بوطنه العربي وبذلك يرى أن "اللغة العربية هي التي صانت قوميتنا، ولولاها لصرنا أتراكًا أو إنجليزًا أو فرنسيين"[1].

واللغة عند الحسيني هي روح الأمة التي عليها مدار الحياة، وإن فُقدت الروح فإن الجسد هالك لا محالة، ولذلك أبدى حزنه الشديد وأسفه الكبير لما حل بالعربية بعد أن هجرها أهلها، فكتب مقالا عنوانه (ارحموا لغتكم أيها الشبان) يبكي حال العرب بعد أن تركوا لغتهم وأصبحوا يستعملون كلمات غريبة أجنبية في صدر لغتهم العربية المقدسة، وكأن لغتهم العظيمة التي فاقت اللغات عاجزة عن التعبير.

إن الحسيني يؤمن أن اللغة حية قابلة للتطور والتغيّر فيرى أنّها "عادة اجتماعية فلا غرابة إن تأثرت بتطور المجتمع ومعطيات العصر من علوم ومخترعات"[2]، وهو بذلك يظهر تأثره بأصحاب المذهب الطبيعي الذين نظروا إلى اللّغة على أنها كائن حي ينمو ويتطور بطريقة حتمية، ولذلك آمن أن اللغة في الأمس غيرها لغة اليوم؛ لأنها خاضعة لهذا التطور المستمر، ويرى الحسيني أن هذا التطور والتغير في اللغة يشمل اللغة الفصحى واللغة المحكية المعروفة بالعامية. ويعتقد أن قلة فصاحة اللغة العربية في هذا العصر من العصور اللغوية الأولى يعود إلى ابتعاد الناس عن المصادر الأولى للغتهم وقلة تأثرهم بها من قرآن وأحاديث وأشعار[3].

غير أنه لم يقنع بهذا المذهب وحده، إذ نجده ينظر إلى اللغة من منظور نفسي، فاللغة تعبر عما في النفس الإنسانية، ويقرر أن اللغة "تكشف عن نفسية أصحابها وما يعانون من أزمات واضطرابات نفسية واجتماعية"[4]، ولم تقف نظرة الحسيني للغة عند ذلك فنرى أنه يأخذ برأي

---

(1) الحسيني، إسحاق موسى: **في الأدب العربي الحديث**، إعداد وتقديم محمد إبراهيم حوّر، مكتبة المكتبة، أبوظبي، 1985، ص89

(2) الحسيني، إسحاق موسى: **تعلمت من الناس تجارب من الحياة، مجلة الشراع**، عدد37، السنة الثالثة، آذار 1982م، ص5

(3) ينظر: **نفسه:** ص5

(4) الحسيني، إسحاق موسى: **تعلمت من الناس تجارب من الحياة، مجلة الشراع**، عدد37، السنة الثالثة، آذار 1982م، ص5

فندريس فيها فهي " تلعب دورًا ذا أهمية عظمى في الجماعة الاجتماعية مهما كانت ومهما كان مقدار امتدادها، فاللغة أوثق العرى التي تجمع بين أعضاء هذه الجماعة، وهي على الدوام رمز ما بينهم من تشارك وحارسه الأمين .. واللغة بمرونتها وتنوع حياتها ولطف سريانها واختلاف استعمالها وسيلة للاتفاق بين الجماعة وعلامة لأعضاء هذه الجماعة"[1].

ولأجل ذلك تظهر اللغة عند الحسيني مرتبطة بالقومية العربية وأنها الموحد لأقطار الأمة العربية، فاللغة العربية الفصحى "أكبر عامل من عوامل القومية العربية التي تجمع الشعب العربي الممتد من المحيط الأطلسي غربًا إلى الخليج العربي شرقًا"[2].

واللغة عنده كالحزام الذي يربط الأمة بعضها ببعض ويشدها إلى بعض، وبذلك فإن الحفاظ على اللغة العربية طيلة القرون الماضية هو من صان الأمة العربية من التفكك والاندثار، والعربية بنظره عربية اللسان لا عربية الدم والجنس[3]، فنراه يقدّم مرتبة أعلى من كون الشخص عربيًا وهي أن يكون الشخص عروبيًا، ويصل بذلك إلى المرتبة الأسمى والدرجة العليا، ويقصد بها أن يكون العربي عربي اللسان وعربي القلب وعربي العقل.

ويعني بعربية اللسان اللغة العربية الفصحى لا اللهجات المحكية، ولكن بغير إسقاطها وإنما بتقويمها وهذه اللغة هي جماع الآداب والتقاليد والعادات والأخلاق النابعة من الأمة، وأما عربي العقل فهي العربية الواعية ذاتها وجماعتها بما لهم وما عليهم، وهي الممتلئة إحساسا بأحداث الأمة العربية بمجالاتها المختلفة، وعربي القلب هو الذي يؤمن إيمانًا راسخًا بحق أمته بالحياة وإيمانه بفضل أمته الكبير في بناء الحضارة العالمية[4].

وبذلك فإن المستشرقين وغيرهم من الأجانب ممن أتقن اللغة العربية الفصحى ربما أكثر من بعض أبناء العربية ليسوا ممن اتصفوا بالعروبة؛ لأنهم فقدوا شرط عروبة القلب وشرط عروبة

---

(1) فندريس، جوزيف: **اللغة**، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م، ص303-304

(2) الحسيني، إسحاق موسى: **الأدب والقومية العربية**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1966م، ص17

(3) ينظر: **نفسه**، ص 48

(4) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **أزمة الفكر العربي**، دار بيروت، بيروت، 1954م، ص54-61

العقل أو أحدهما، وإلى هذا ذهب الأديب خليل السكاكيني الذي تأثر به الحسيني بشكل كبير، وذلك حين قال: "تجد بعض المستشرقين من يفوق علماء العربية في معرفتها ولكنه لا ينزل من اللغة منزلة أهلها منها، وإنما اللغة حياة وتقاليد وعقائد وأخلاق ومقدسات"[1].

إن الحسيني بنظرته الاجتماعية للّغة يكون قد جمع في مفهوم اللغة عنده ثلاثة مذاهب في اللغة؛ أولها أن اللغة حية تنمو وتتطور، وكذلك المذهب النفسي، وهذا المذهب الاجتماعي الذي مثله رأي فندريس، والذي يظهر من هذا سعة مفهوم اللغة عنده.

إن الحسيني يؤمن أن اللغة رمز للأمة؛ فهي التي تحفظ القومية فنراه يدعو إلى تعلم العربية ويحض أبناء الأمة على التحدث والكتابة بها، وبما أن "اللغة هي نقطة الانطلاق في نهضتنا القومية الحديثة، وهي التي حافظت على وحدتنا وقاربت بيننا ووجهتنا وجهة واحدة"[2] فيجب أن تُرفض الألفاظ الأجنبية الدخيلة إليها، فنراه يستنكر التكلم بهذه الألفاظ وإدخالها إلى الحياة اليومية العربية. ومن ذلك أن أظهر استنكاره وتعجبه من المؤسسات والبنوك الفلسطينية التي تكتب وثائقها بالعبرية لا بالعربية، وقد بيّن ذلك في مجلة الشراع تحت عنوان (أين اللغة العربية)[3].

لقد حرص الحسيني حرصًا شديدًا على اللغة العربية وبقائها، وكتب كثيرًا يدعو إليها والالتزام بها، وكان أول مقال كتبه دليلا على اهتمامه بها ورفضه لمن ينكرها[4]، وكتب غير مرة يرد فيها على الدعوات المناهضة للّغة العربية الفصحى، وقد أيقن الحسيني تفوق العربية على كثير من لغات العالم، إذ عكف مرة على البحث في الاختصار في العربية وبعد أن ألمّ به قال: " أعترف

---

(1) السكاكيني، خليل: **حاشية على تقرير لجنة النظر في تيسير قواعد الصرف والنحو والبلاغة**، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1938، ص11

(2) الحسيني، إسحاق موسى: **قضايا عربية معاصرة**، بيروت، دار القدس، 1978م، ص25

(3) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **تعلمت من الناس تجارب من الحياة، مجلة الشراع**، عدد38، السنة الثالثة، آذار 1982م، ص3

(4) أول مقال كتبه الحسيني كان في جريدة الصباح المقدسية عام 1921م وكان عنوانه (ارحموا لغتكم أيها الشبان) وقد أثبته حسن السلوادي في كتاب **(الدكتور إسحاق موسى الحسيني عميد الأدب العربي الفلسطيني بين الوفاء والذكرى)** والذي قام بإعداده توثيقا لما ورد في المهرجان الذي أقيم احتفاء بإسحاق الحسيني بمناسبة بلوغه الثمانين من عمره.

أني حين شرعت في هذا البحث خيل لي أن الاختصار من خصائص اللغات الغربية، وأن العرب عالة عليهم، ثم اتضح لي أن العربية من السابقات في هذا المضمار"[1].

وحتى نفهم حرص الحسيني الكبير على اللغة العربية الفصحى ورفضه للألفاظ الأجنبية الدخيلة إليها وجعله الفصحى أساس القومية لا اللهجات المحكية، وجب معرفة حال العربية في العصر الذي عاش فيه، والقضايا التي أثيرت حولها.

لقد عاش الحسيني في فترة كانت البلاد العربية تتعرض إلى استعمار خارجي حاول التغيير في ثقافة العرب ولغتهم، ولذلك نجد الحسيني متمسكا بوطنه العربي الكبير ووطنه الصغير القدس تمسكًا شديدًا، وبلغته الموحدة لهذه البلاد، والحال في فلسطين لم يكن أفضل من ذلك فوجود اليهود فيها وزيادة نفوذهم بها جعل هناك انتشارًا للغة العبرية، وهذا ما أنكره على بعض المؤسسات الفلسطينية التي أخذت تكتب باللغة العبرية، فدعا إلى التمسك باللغة العربية لغة التقاليد والعقائد والأخلاق.

ومما زاد من اهتمامه بالعربية ودعوته لها ما تعرضت له العربية في فترة حياة الحسيني من دعوات هدّامة للّغة العربية ألا وهي الدعوة إلى استخدام العامية وترك الفصحى بحجة أنها -أي الفصحى- سبب تخلف البلاد العربية ومنعها من التحضر والتطور فوقف أمام هذه الدعوة كغيره ممن أحبوا لغتهم وفنّد دعوات أصحابها. ومن الدعوات التي ظهرت في وجه العربية الفصحى الدعوة إلى استخدام الحروف اللاتينية واستبدالها بالعربية بحجة صعوبتها وعدم ملاءمة العصر.

إن الحسيني المحب للغته جعله يقف مدافعًا عن لغته العربية الفصحى، وهي لغة الأمة كاملة ولكنّه في نفس الوقت لا يدعو إلى التحجر والبقاء في الخلف، إنما يحث على تطوير العربية بغير إخلال بمعالمها والنظر إليها بمنظور عصري بما يناسب اللغة والعصر الذي تعيش فيه، فنراه يدعو إلى "النظر إلى اللغة نظرًا حديثًا يقتضيه هذا النمو الواسع العميق في العلوم والآداب والفنون"[2]، وهو بذلك يدعو إلى المعاصرة اللغوية بحيث تلبي اللغة احتياجات العصر، ويدعو إلى

(1) الحسيني، إسحاق موسى: **قضايا عربية معاصرة**، ص32

(2) الحسيني، إسحاق موسى: **أزمة الفكر العربي**، ص83

الخروج عن النظرة القديمة للّغة فيقول في ذلك: "من العبث أن ننفق العمر كله في درس اللغة، فهي وسيلة لا غاية، وهي كائن حي ينمو ويتطور مع نمو المجتمع، ورجال الفكر والأدب والفن هم الذين يرسمون الاتجاهات التي تسير فيها لا العوام الذين لا يملكون سعة الاختبار وقوة التعبير"[1].

إن الحسيني بذلك يسير في فلك المنهج التجديدي المعاصر الداعي إلى النهوض باللغة وتطويرها فلكل عصر لغته، ولغة هذا العصر غير لغة الأمس فهي تطورت ونمت، وبذلك يجب أن نسير مع هذا النمو وهذا التطور، ويؤمن بأن النهوض باللغة يحتاج إلى جهود كبيرة، جهود جمعية يشترك فيها المؤثرون من ساسة وأدباء.

إن الحسيني بنظرته هذه يخالف إسعاف النشاشيبي الذي رفض هذه الدعوة جملة وتفصيلا ودعا إلى التمسك بتلك اللغة الأصيلة لغة المتنبي والجاحظ بألفاظها ومعانيها المتعارف عليها في وقتها.

لقد نظر الحسيني إلى اللغة بمنظور خليل السكاكيني الذي ما فتئ يدعو إلى التجديد في اللغة وعلومها من نحو وصرف وبلاغة، وبهذا سار الحسيني فكانت المجامع اللغوية التي انتخب عضوًا فيها داعيًا له للبحث والتنقيب في اللغة، ومن خلالها نشر آراءه ومفهومه للّغة.

ويأمل الحسيني أن تكون الوحدة اللغوية التي اشترك فيها العرب بلغتهم الفصحى نقطة انطلاق للوصول إلى الوحدة العربية الكبرى الشاملة للمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

2- الأسلوب اللغوي:

لم يغفل الحسيني في كتاباته عن قضية القديم والجديد في الأسلوب اللغوي، فقد كان هذا حديث العصر الذي عاش فيه، فتجاذبت هذه القضية الكتّاب ليبرز كلٌ رأيه وموقفه وقد بيّن الحسيني رأيه في هذه القضية. واعتقد أن الكاتب الناجح والأديب المبدع هو الذي يعبر عما يختلج نفسه بأسلوب واضح سهل، وليس بأديب ناجح من يستخدم ألفاظًا منمقة ومزخرفة لا عمق فيها ولا

(1) **نفسه:** ص 83

إحساس[1]، وهو بذلك يظهر وقوفه في صف المجددين للّغة الدّاعين إلى سيرها والعصر الذي تعيش فيه، فيبدي تأثره بهذه المدرسة ويحذو حذوها، تلك المدرسة التي آمن أصحابها أن اللغة وسيلة لا غاية مخالفين أسلوب القدماء ومن حذا حذوهم، فالأسلوب السهل الواضح البعيد عن التقعر والتكلف هو الأسلوب الذي يتبعه الحسيني فهو كما يرى الأسلوب المناسب للحياة العصرية، وهو أسلوب يتميز بوضوحه ودقته بنظر المجددين.

ولذلك كان اهتمام الحسيني الغوص في أعماق الموضوع والتركيز على المضمون الذي يبغي الوصول إليه دون اهتمام بالأمور السطحية أو الجانبية، كالصنعة اللفظية، أو تزويق الجمل بألفاظ غريبة وحشية لا فائدة ترجى من تكلفها، فهدفه الأسمى من الكتابة هو نقل الفكرة للقارئ وليس الحصول على إعجابه بشكل الألفاظ أو العبارات[2].

والحق أن الحسيني تأثر تأثرا كبيرا بخليل السكاكيني في أسلوبه هذا، ولم لا.. وهو - السكاكيني- من حارب لأجل هذا الأسلوب وكان من الرواد الداعين إلى التجديد والخروج عن نمط القدماء وأساليبهم، فكان مذهب الحسيني في اللغة مذهب السكاكيني إلى حد كبير، وهذا الأسلوب ينافي توجهات النشاشيبي الذي تمسك بالقديم ورونقه وجزالته، ورغم أن الحسيني تتلمذ على يد النشاشيبي وتأثر به في تعلقه بالعربية، إلا أن ذلك لم يمنعه من تكوين منهجه المؤمن به، فخالفه في أسلوبه وعرضه للنصوص، فكان الحسيني في أسلوبه عصريا تجديديا مناقضا لما حمله أستاذه النشاشيبي، فقال منتقدا له: " إن أستاذنا غالى غلوًا شديدًا في التمسك بالقديم، فقد كان يثبت اللفظة القديمة في النص ويحيل القارئ إلى الشرح، وغالى في نقده المجددين الذين تأثروا بالأدب الغربي والفكر الغربي مع أن هذا التأثر سنة الحياة وله فوائد لا تنكر، فالأدب لا يمكن أن يتجدد إلا إذا تجدد

(1) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **تعلمت من الناس تجارب من الحياة، مجلة الشراع**، عدد 34، السنة الثانية، كانون الأول 1981م، ص7

(2) ينظر: شوملي، قسطندي: **الإتجاهات الأدبية والنقدية في فلسطين – دراسة لحياة النقد الأدبي الحديث في فلسطين من خلال جريدة فلسطين**، القدس، دار العودة، 1990م، ص74-75

الفكر وتجددت المعارف، وهذا ما حدث في العصر العباسي فأتاح للعربية أن تصبح لغة عالمية لا تقل اتساعا ودقة ومرونة عن اللغة اليونانية"[1].

إن هدف الحسيني من اللغة هو المضمون ونقل الفكرة إلى القارئ بغير تعقيد وتزويق فالتزم بأسلوبه كما قال هو عنه إنه "التعبير عن مشاعر خالية من التملق والتكلف"[2]، وتطبيقًا لهذا نلاحظ أنّ ما كتبه الحسيني يتّسم بالسهولة واليسر فلا نجد اللفظ القوي الفخيم عنده، وبهذا انمازت لغة الحسيني عن لغة القدماء ومن سلك مسلكهم في زمانه، فكانت خالية من الاستعارات والمترادفات وغرابة الألفاظ وضخامة التعبير، وكان اهتمامه بالموضوع نفسه لا القالب اللغوي الذي يتركب منه.

ويأخذ الحسيني على المحافظين الذين يتمسكون بجزل الكلام في أنّ ما يكتبونه بألفاظ انتهت عصورها لا قيمة له ولا طائل منه؛ لأن المراد من الكتابة هو إيصال المعنى ومضمون النّص لا شكله، والقارئ لا يهمه النص بقدر فهمه معنى النّص، لذلك يشنأ القرّاء التزويق في الكلام، يقول: "إن الكاتب الذي يتكئ على ذخيرته اللفظية ويجعلها قوام كتابته، يترك الألفاظ تملي عليه ما يريد، فتجر اللفظة اللفظة، والسجعة السجعة، والعبارة العبارة، وهكذا حتى تصبح الجمل سطورًا من الحشائش المصففة لا حياة فيها ولا طائل تحتها"[3].

ولأنّ يسر اللغة مطلب من مطالب العصر الذي يقوم على الإيجاز والاختصار لا الحشو والمغالاة كما يؤمن الحسيني، نراه يحمل هذا المنهج، فيقول في ذلك: "إن هذا المذهب مذهب هذا العصر الذي يدخل الاقتصاد في كل مرفق من مرافق الحياة"[4]. وقد تأثر في رؤيته هذه بالسكاكيني الذي سبقه في دعوته التي يرى فيها أن لكل عصر لغته، ولغة هذا العصر هي السهولة واليسر، وقد أفاد الحسيني منه فيما كتب في كتابه مطالعات في اللغة والأدب ردًا على شكيب أرسلان، يقول

---

(1) الحسيني، إسحاق موسى: **من ذكريات العمر– الحلقة الرابعة، مجلة الفجر الأدبي**، عدد 29، السنة الثالثة، حزيران 1983، ص18

(2) الحسيني، إسحاق موسى: **خواطر العمر– شعر**، مؤسسة دار الطفل العربي، القدس، 1991م، المقدمة

(3) الحسيني، إسحاق موسى: **هل الأدباء بشر**، دار العلم للملايين، بيروت، 1964م، ص16

(4) الحسيني، إسحاق موسى: **هل الأدباء بشر** ، ص17

السكاكيني: "نحن في عصر تغلبت فيه روح الاقتصاد، فإذا لم يراع الكاتب الاقتصاد فيما يكتبه، في وقته ووقت القارئ، لم يجد من يقرأه، ونحن في عصر المعنى فيه الأول واللفظ المحل الثاني"[1].

فهؤلاء الذين يسرفون في الألفاظ لا يراعون وقت القارئ ولا وقت من يقومون على طباعة ونشر ما يكتبه، وكأن ما يكتبونه كرة كبيرة الحجم كل ما فيها هراء؛ لأن براعة الكتابة تكمن في عرض أكبر قدر من الفكر في أقل قدر من اللفظ[2]، هذا على الأقل ما يراه الحسيني متأثرًا بالسكاكيني كما ظهر.

وبهذا فإن أهم ما يميز لغة الحسيني في مؤلفاته الاقتضاب وابتعادها عن الإطالة والشطط والتكلف والسجع والترادف، إنه ملتزم بأسلوب العصر كما يرى، أسلوب الاقتصاد والوضوح، ولو نظرنا إلى مقالاته ومؤلفاته لرأيناها تتسم بالقصر، وهذا ما كانت عليه دراسته الأولى وهى (ابن قتيبة، حياته وآثاره) التي نال بها درجة الدكتوراه في جامعة لندن فكانت عميقة مركزة دقيقة لا تتعدى المئة صفحة، وكان هذا النمط جاريا على كل مقالاته التي كتبها، وبهذا تأثر بعلماء الغرب وأساتذته المستشـرقين الذين تتلمذ علـى أياديهم. فقد أفاد منهم أن "الموضوع لا يحكم عليه بكثرة أوراقه بل بعمقه وجدته، فأكثر ما نجده عند علماء المشرقيات رسائل صغيرة في موضوعات دقيقة محدودة"[3]، وبالنظر إلى نماذج من نثره نرى أسلوبه واضحا جليًا، إنه الأسلوب السهل الخالي من جماليات اللفظ التي استخدمها أنصار القديم من سجع واستعارة وترادف، فلا نجد قوة ألفاظهم وجزالتها عنده، إن أقصى ما يسعى إليه هو إيصال المعنى للقارئ.

وبحق إن الأسلوب العام في لغة الحسيني تلقح بلقاح مستمد من الآداب الغربية؛ فقد كانت تجربته في لندن وغيرها من الدول الأجنبية أثرا على أسلوبه، وكان ذلك سببا في التحرر من الأسلوب القديم وداعيا إلى الجنوح نحو السهولة والاختصار والكتابة بلغة بسيطة تهدف إلى المضمون لا الشكل. ويظهر تأثر الحسيني بخليل السكاكيني واضحا وجليا في الأسلوب فلا نكاد نجد اختلافا بينهما، وكلاهما كانا من الدعاة إلى مناسبة اللغة بالحياة العصرية وعصر الاقتصاد.

---

(1) السكاكيني، خليل: **مطالعات في اللغة والأدب**، ص99

(2) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **هل الأدباء بشر**، ص17-18

(3) الحسيني، إسحاق موسى: **علماء المشرقيات في إنجلترا**، ص27

3- العامية والفصحى:

لقد لفتت هذه القضية بتاريخها الطويل نظر الحسيني، فتناولها غير مرة في كتاباته وخصصها بمقالين نشر أحدهما في مجلة الثقافية المصرية تحت عنوان (العلاقة بين الفصحى والعامية)، وآخر أثبته في كتابه أزمة الفكر العربي تحت عنوان (عروبة اللسان).

ويرى الحسيني أن وجود لغتين، فصحى وعامية، ليس غريبا في التاريخ العربي وتاريخ الشعوب المختلفة، فاللهجات العامية شائعة في بلدان أوروبا كما هي عند العرب، فنجد ذلك في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، غير أن مشكلة العامية وأثرها في أوروبا قليل مقارنة مع البلاد العربية؛ وذلك لأن نسبة الأمية أقل بكثير مما هي عند العرب، والحركة العلمية والأدبية عندهم أقوى مما هي في البلاد العربية[1].

تناول الحسيني تاريخ هذه الدعوة، (الدعوة إلى العامية)، فعرض حجج أنصار العامية والداعين لها وكذلك أثبت حجج أنصار الفصحى وردهم على أنصار العامية، وقد علّق على المقدمة التي كتبها سعيد عقل بالعامية وصدر بها ديوان (جلنار) للشاعر الزجلي (ميشال طراد) ومما قاله الحسيني في هذه المقدمة: "تُرى أيحاول شاعر إنجليزي من طبقة سعيد عقل في أدبه أن يكتب بالعامية؟ أيحاول ذلك شاعر فرنسي أو ألماني؟، إن الذي نعرفه أن الأدباء الممتازين في كل أمة يكتبون ليرفعوا العوام إلى مرتبة الخواص، لا لينزلوا الخواص لمرتبة العوام، ومن الخطأ التصور أن لا عاميات إلا في العربية"[2].

ويُفهم من هنا رفض الحسيني لهذه الدعوة ورفضه للكتابة بالعامية، وذلك لإيمانه أن اللهجات العامية لن تحل المشاكل بل ستزيدها تعقيدا، فالدعوة إلى هذه اللهجات وإلغاء الفصحى كما قال: "ستكون سهما يوجه إلى صميم وحدتنا المنشودة، وربما انتهت إلى القضاء على كل أمل في

---

(1) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **العلاقة بين الفصحى والعامية- مجلة الثقافة**، العدد4، السنة الأولى 1939م، ص24

(2) الحسيني، إسحاق موسى: **أزمة الفكر العربي**، ص70

بناء العروبة التي يطمع فيها الأحرار الأخيار"[1]، فنراه يدعو إلى تحكيم العقل وتدبر النتائج قبل الخوض في مثل هذه الدعوات والانزلاق في هوة مردية.

غير أن هذه الدعوة ماتت، بل ولدت ميتة كما يرى الحسيني، ونراه يُرجع موتها رغم كثرة الداعين لها[2] وطول المدة التي دعي فيها إلى أسباب عدة، يمكن إجمالها بما يأتي:[3]

أولا: إن الشعور بالقومية أخذ يقوى ويشتد، واللغة هي أبرز مظاهر القومية، بل هي رمز القومية وأوثق رابط بين الناطقين بها، وهي وسيلة التفاهم الوحيدة بين الأقطار العربية المختلفة.

ثانيًا: إن الشعور بقيمة التراث قوي في المدارس والجامعات، وما كان لعاقل أن يضحي بنتاج حضارة ازدهرت قرونا طويلة ورفعت قومها إلى أعالي الأمم، فالتخلي عن الفصحى هو دفن لتراث الأمة التليد وقطع لتاريخها المجيد.

ثالثًا: الإيمان أن اللغة ليست ألفاظا يُنطق بها فقط، وإنما علوم وآداب وعواطف، فلا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال أو ظرف من الظروف.

رابعًا: الإدراك أن العربية الفصحى ليست لغة علم وآداب فحسب، وإنما لغة دين ثابت الأركان.

خامسًا: ازدياد نسبة المتعلمين العرب ازديادا كبيرا، والمتعلمون قادة الرأي وأساس المجتمع، فمن الطبيعي أن يتمسكوا بلغة العلم والأدب.

ولكنّ الحسيني لم يقتصر على تناول هذه الدعوة تناولا نظريا، فقد أيقن أن مثل هذه الدعوة لم تأت من فراغ وإنما لجأ إليها من لجأ نتيجة للجمود الفكري الذي يعيشه العرب، لذلك نراه يقدم

---

(1) **نفسه:** ص84

(2) يُعد المستشرقون (ولهلم سبيتا) و(ولكوكس ولمور) و (كارل فولرس) أول من دعا إلى العامية ولحقهم بذلك كثير من العرب المتأثرين بالحضارة والثقافة الغربية وكان من أبرزهم سلامة موسى ومحمود شاكر ولويس عوض (ينظر: زكريا، نفوسة: تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر)

(3) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **العلاقة بين الفصحى والعامية– مجلة الثقافة**، العدد4، السنة الأولى 1939م، ص25

حلولا عملية لهذا الجمود اللغوي والعلـمي والفكـري؛ للتخلـص من مشكلة هذه الدعوة، ويمكن إجمال الحلول التـي قدمها بما يلي:[1]

أولًا: العمل على تيسير اللغة العربية بقواعدها وعروضها ومعاجمها، فالكتب القديمة أشبه بآثار تاريخية تفيد دارس تاريخ علوم اللغة، أما طالب اللغة على أنها وسيلة فينفر منها ويستخلص منها أنها شاقة مشوشة وغير منطقية، وهذه النعوت تنطبق على كتب اللغة القديمة لا اللغة نفسها.

ثانيًا: النظر إلى اللغة نظرًا حديثا لا تقليديا، يقتضيه نمو واسع في الفنون والعلوم والآداب، فلا ننفق العمر في دراسة اللغة، لأنها وسيلة لا غاية، وهي كائن حي ينمو ويتطور مع تطور المجتمع.

ثالثًا: الاتصال بالحضارة الغربية الحديثة اتصالا تامًا لا تحفّظ فيه؛ ليزداد أدبنا اتزانا ولغتنا دقة، وحضارتنا قوة.

رابعًا: تعليم الشعوب العربية؛ لرفع مستوى تفكيرها، فإذا ارتقى تفكير الشعوب العربية ارتقت لغتهم، وإهمال هذه النقطة هو سبب الأزمة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

خامسًا: العمل على زيادة نهضة العربية الفصحى في نهضتها بعد كبوتها التي دامت قرونا عديدة خاصة في ظل العصر التركي العثماني، والعمل على إظهار التراث العربي وكشف المجهول فيه والإفادة من عناصره الحية؛ لربط الماضي بالحضر وإهمال ما لا خير فيه.

والخلاصة أن الحسيني رفض إحلال العامية محل الفصحى، ووقف في وجه هذه الدعوة، ولكنه أيقن أن هذه المشكلة نابعة من الجمود الذي تعيشه الأمة العربية، لذلك نراه يقدم حلولا للتخلص من هذا الجمود الذي أنتج مثل هذه الدعوات الهدامة، ومن هنا تبرز قيمة محاولته في حل مشكلة الدعوة إلى العامية.

4- الحروف العربية والحروف اللاتينية:

(1) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **أزمة الفكر العربي**، ص82-84

من القضايا اللغوية التي تلت قضية العامية والفصحى في الخطورة قضية الحروف اللاتينية والحروف العربية؛ وذلك من خلال الدعوة إلى هجر الحروف العربية والكتابة بالحروف اللاتينية بحجة صعوبة حروف العربية. وتعود البدايات الأولى لهذه الدعوة إلى سنة 1880م عندما اقترح المستشرق الألماني ولهلم سبيتا، الذي كان يرأس إدارة دار الكتب المصرية، إلى الكتابة بالحروف اللاتينية وذلك في كتابه "قواعد العربية العامية في مصر" وكان هذا الكتاب البذرة الأولى لهذه الدعوة والذي اقترح فيه اتخاذ الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية في القراءة والكتابة، وقد أفرد جزءًا كاملًا من كتابه لهذه القضية[1].

وبعد ذلك بفترة نهج بعض المستشرقين نهج (سبيتا) في دعوته إلى الكتابة بالحروف اللاتينية عوضا عن العربية، وأبرزهم المستشرق الألماني كارل فولورس والإنجليزي سلدن ولمور[2]، ولكنّ صدى هذه الدعوة لم يظهر ويقو إلا عندما حمل بعض المفكرين العرب هذه القضية وأخذوا يدعون لها ويقدمون حلولًا لتطبيقها.

وقد لفتت الدعوة إلى الكتابة باللاتينية أنظار كثير من الحاقدين على الرابط القومي العربي والتابعين بفكرهم للاستعمار الغربي والحاقدين على الإسلام "فقد اتخذ أعداء الإسلام والقرآن كل السبل لهدم الفصحى، فدعوا إلى العامية ودعوا إلى إحلالها محل الفصحى، ودعوا إلى إلغاء الإعراب، ودعوا إلى اتخاذ اللاتينية بدل الحرف العربي"[3].

وكان ظهور هذه الدعوة ظهورًا ملفتًا عام 1943م على يد عبد العزيز فهمي "فقد أعدّ بحثًا ضمّنه آراءه الخبيثة، وألقاه على أعضاء المجمع اللغوي في جلستيه المنعقدتين في 24 و31 يناير سنة 1944م وبلغ فحش تجنيه الغاية"[4]، فاقترنت هذه الدعوة باسمه، نظرًا لمجهوده الكبير فيها وشرحه لها ودعوته إليها واقتراحه لتطبيقها، وتبعه في هذه الدعوة مجموعة من دعاة الهدم أمثال أنيس فريحة وسلامة موسى وسعيد عقل.

---

(1) يُنظر: زكريا، نفوسة: **تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر**، ص18

(2) ينظر: **نفسه**، ص 25

(3) عطار، أحمد عبد الغفور: **دفاع عن الفصحى**، ط1، وزارة الإعلام، مكة المكرمة، 1979م، ص79

(4) عطار، أحمد عبد الغفور: **دفاع عن الفصحى**، ص76

ودعوتهم هذه زعما أنه من الصعوبة بمكان تعلم العربية، ومعظم هذه الصعوبة هي في طريقة كتابتها وقراءتها خالية من التشكيل إلا في بعض الكتب، لذلك كانت دعوتهم للكتابة بالحروف اللاتينية خلاصا من الصعوبة النابعة من الحروف العربية.

وقد لفتت هذه القضية نظر إسحاق الحسيني فتناولها مستفيضا فيها. ورأى أن الدعوة إلى هجر الحروف العربية واستخدام الحروف اللاتينية هي مشكلة ما فتئ الداعون إلى إثارتها، رغم أن هذه الصعوبة مبالغ فيها كما يرى[1]، فنراه يعلل أن المبالغة فيها تعود لأسباب معيّنة.

أولها "أننا حين نضرب الأمثال على تعدد وجوه اللفظ الجائزة ننتزع الكلمة من الجمل ونعرضها في شكل مبهم، مع أن الواقع أن الإنسان لا يتكلم ولا يقرأ كلمات متقطعة منفصلة عن بعضها البعض، والقرينة في الكلام والقراءة تزيل كثيرًا من الإبهام وتعين على تقرير وجه من وجوه الشكل دون آخر"[2]، وما يوضح ذلك الفهم الصحيح المختلف للفظة (علم) للعبارتين الآتيتين رغم خلوها من الشكل.

- يتبين لي أن علم الأستاذ واسع.
- علم فلان بمرض أخيه فحزن كثيرًا.

فالقارئ يفهم معنى كلتيهما دون الحاجة إلى شكل وذلك من خلال القرائن المتصلة بكل موضع، وهذا ما يبرهنه الحسيني.

والسبب الثاني من أسباب المبالغة هو "توهمنا الخاطئ أن اللغات الأوروبية خالية من الصعوبة (كالإيطالية والإنجليزية والفرنسية)، والواقع خلاف ذلك، فالأجانب الذين يتعلمون هذه اللغات يعانون كثيرًا من الصعوبات في ضبط نطقها على كثرة الحروف الصائتة فيها، أما سهولة نطقها على أبنائها فمصدره قرب اللغة المحكية من لغة المدرسة خلافًا لما هو واقع في البلاد العربية"[3]، ونرى الحسيني يدلل على صعوبة اللغات الأوروبية من خلال إبراز دعوات ظهرت

(1) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **أزمة الفكر العربي**، ص86

(2) **نفسه:** ص87

(3) الحسيني، إسحاق موسى: **أزمة الفكر العربي**، ص87-88

في بعض البلاد الأوروبية كما في إنجلترا، حيث قامت دعوات إلى إصلاح الحروف الإنجليزية كدعوة (برانرد شو)، فلو كانت حروفهم خالية من الالتباس والصعوبة لما قامت حركات الإصلاح هذه[1].

أما السبب الثالث لهذه المبالغة فهو ربط الحركات ربطا كليا بفهم المعنى، فالاعتقاد أن إشكال الحروف يوضح المعنى ويزيل الالتباس ليس صحيحًا، لأن الواقع خلاف ذلك فالقارئ يفهم ما يقرأ مع أنه يخطئ في النطق الصحيح للكلمات، وأكثر المتعلمين يلحنون وهم يقرؤون ولكن ذلك لا يمنعهم من فهم ما يقرؤونه، فلا يقف فقدان الحركات للكلمات حائلا دون الفهم[2].

فالحسيني بذلك يفند المبالغة في صعوبة الحروف العربية، إلا أننا نراه لا ينكر الصعوبة بذاتها ولكنّه أنكر المبالغة فيها، فالصعوبة موجودة في الحروف العربية بلا شك، ولكنّها غير ناجمة عن فقدان الشكل كما يرى، ونراه يعيد سبب هذه الصعوبة إلى عوامل عديدة نجملها بالآتي:[3]

أولًا: الاختلاف الكبير بين لغة البيئة في أصواتها وألفاظها وتراكيبها ولغة المدرسة في البلاد العربية، فالطالب يتعلم ويقرأ لغة بعيدة عن استعماله ومألوفه، وبما أن لغته العامية أشد تمكنًا من نفسه ولسانه فإنها تفسد لغة الصنعة فيتولد اللحن وفساد التركيب، وعلاج هذه المشكلة لا يأتي إلا بتوحيد اللغتين.

ثانيًا: إن مجموع المتعلمين الذين يقرؤون ويكتبون يتراوح في البلاد العربية ما بين (19- 30) في المئة، ومعنى ذلك أن اللغة الفصيحة لغة مصطنعة؛ لأنها لغة أقلية ضئيلة ولا بد من إزالة ذلك أولًا قبل أن تتمكن اللغة الفصيحة والنطق الصحيح من الألسنة، وما يظهر بعد ذلك من صعوبات يعالج في ظروف أكثر وضوحًا من الحالة الأولى.

ثالثًا: فساد أساليب التعليم وخاصة تعليم اللغة العربية وفساد كتب القواعد وبُعدها عن تحقيق الغرض الذي وضعت له لأسباب كثيرة، والخروج من هذه المشكلة يكون بوضع كتب جديدة في

---

(1) يُنظر: **نفسه** ، ص89

(2) يُنظر: **نفسه**، ص91-92

(3) يُنظر: **نفسه**، ص92-94

القواعد مسترشدين بعلم اللغة من جهة وعلم التربية والتعليم من جهة أخرى مع فتح باب الاجتهاد في هذا الموضوع، وربما يكون إصلاح القواعد مقدم على إصلاح الحروف.

إن الحسيني، رغم الصعوبة التي يقرّها في الحروف العربية، كحال كثير من الباحثين، إلا أنه يرفض أن يكون الحل من خلال إحلال الحروف اللاتينية عوضًا عن حروف العربيّة، فهو يرفض مثل هذه الدعوة فهي باطلة بنظره وغير صالحة، وبذلك نراه يدلل على بطلان هذه الدعوة من خلال أمور وهي:[1]

أولًا: من المسلم به أن الحروف اللاتينية عاجزة عن تأدية الأصوات العربية تأدية تامة؛ ذلك أن في العربية أصواتًا كثيرة لا مثيل لها في اللغات الأوروبية، ولا رموز لها في الحروف اللاتينية مثل حروف (ح، خ، ص، ط، ظ، ع، غ)

ثانيًا: إن الحروف الصائتة في اللاتينية لا تميّز بين الصوت الطويل والصوت القصير، أما في العربية فلطول الصائتات وقصرها فيها دلالة لغوية، مثال ذلك (قَتَلَ وقاتَلَ)، فالفرق بينهما قصر الصائت بعد القاف في (قتل) وطوله بعد القاف في (قاتل)، وهذا الفرق الصوتي ذو دلالة لغويّة، فإن استعرنا الحروف اللاتينية سنقع في مشكلة معقّدة؛ ذلك لأنه لا بدّ من توليد إشارات خاصة بالطويل والقصير من الصائتات؛ حتى يصبح بالإمكان التمييز بين الكلمات أشباه (قَتَلَ وقاتَلَ)، ويكون مثلنا حينئذ كمثل من يتخلى عن بيته الذي سكنه ولاءمه إلى بيت آخر جديد ليس ملائم له، وربما كان الأولى إصلاح البيت القديم بدل هجره.

ثالثًا: إن رسم العربية باللاتينية يضيع على القارئ تبين اشتقاق اللفظ الذي يقرؤه، وإذا عسر عليه صار اللفظ عنده بمنزلة المجهول الذي لا نسب له، وصار فرضًا عليه أن يعمد إلى رسم المادة الواحدة من اللغة في جميع صورها التي تكون في السياق العربي، ثم عليه أن يحاول تقريب الشبه بالذاكرة الواعية، ثم عليه أن يحفظ معاني ذلك كله، فإذا كان هذا في المادة الواحدة فكيف الحال باللغة كلها؟، وإذا ضل عن تبين الاشتقاق والتصريف فقد ضل عن العربية كلها، فإذا كان هذا هكذا، كان التضليل كائناً فيه، وكان هذا التضليل واقعاً في أصول الاشتقاق والتصريف، الذي يرد القارئ

(1) ينظر: **نفسه**، ص94- 99

إلى أصل المادة اللغوية، وإذا كان الضلال عن أصل المادة ضلالاً عن معناها، فأي السبيلين أغمض وأضل: سبيل عسر القراءة لعدم (حروف الحركات)، أم سبيل امتناع الفهم لامتناع الاهتداء إلى أصل الاشتقاق؟[1].

رابعًا: إنّ الكتابة بالحروف اللاتينية لا تمنع الكتاب المختلفين أن يكتبوا الكلمة على صور مختلفة كلها خطأ وخروج على القواعد اللغوية، ومن هنا يشيع التبلبل في الألسنة ويتقرر الخطأ بتسجيله في الكتابة والطباعة بدلًا من تركه محتملًا للقراءة على الوجه الصحيح. ولا شك في أن الخطأ في النطق أهون ضررًا من الخطأ المكتوب أو المطبوع، لأن كتابة الخطأ تبقى خطأ النطق وتزيد عليه أنها تسجله وتضلل من عسى أن يهتدي إلى الصواب[2].

خامسًا: إن مثل هذه الدعوة إن طبقت سوف تقطع صلتنا بتراثنا العربي الذي امتد عشرات القرون، فهل علينا تعلم اللغة الفصيحة واللغة الجديدة كي نقرأ القديم والحديث.

والخلاصة أن الحسيني يرفض هذه الدعوة رفضًا قاطعًا، فنراه يدعو إلى النظر إلى أخطار هذه الدعوة قبل الإقدام على تطبيقها، والحسيني لا ينكر مشكلة الكتابة العربية، إلا ان هذه المشكلة بالغ فيها أصحاب هذه الدعوات الهدامة، ونراه يدعو إلى إصلاح الحروف العربية بدلًا من الاشتغال بمثل هذه الدعوات، يقول في ذلك: "أليس الأولى من ذلك كله أن نصلح الحروف العربية نفسها على نحو لا يطمس معالم اللغة العربية ولا يودي بنهضتها الفتية ولا يورثنا الانحلال والتفرقة، وربما الفردية التي تناقض روح العصر؟ بلى، هذا هو المخرج السليم من أزمة الحروف العربية الذي اتفق عليه معظم الذين عالجوا هذا الموضوع"[3].

---

(1) هذا الاستدلال هو استدلال محمود محمد شاكر أثبته في مقال له تحت عنوان **(الحرف اللاتيني والعربي)** يرد فيه على عبد العزيز فهمي باشا الذي دعا إلى الكتابة بالحروف اللاتينية وأُثبت هذا المقال في مجلة الرسالة، وقد اعتمد الحسيني هذا الاستدلال في كتابه الذي أشرنا إليه، ينظر: **(الرسالة، عدد 562، مج 12، 1944م، ص12)**

(2) هذا استدلال عباس محمود العقاد في مقاله **(الحروف اللاتينية)** الذي رد فيه على عبد العزيز فهمي، والمقال منشور في مجلة الرسالة، وقد استدل الحسيني به، ينظر: **(الرسالة، عدد585، مج 12، 1944م، ص2)**

(3) الحسيني، إسحاق موسى: **أزمة الفكر العربي**، ص99

لكنّ الحسيني لم يقدم حلولا للمشكلات التي يعتقد وجودها في الحروف العربية، واكتفى بالإشارة إلى وجود مشاكل فيها، ولكنّنا رأيناه يقدم بعض الحلول للتخفيف من الصعوبات التي تحويها الكتابة العربية، وذلك من خلال ربط إصلاح الحروف بإصلاح القواعد في اللغة، فبيّن أن إصلاح القواعد سيبعدنا عن كثير من المشاكل التي يمكن أن توجد في الحروف، ودعا إلى المقاربة بين لغة الكتابة ولغة الاستعمال (العامية) لأن اختلافهما جزء من الصعوبة التي تلحق اللغة التي يريد الدارس تعلمها، ولكنّه لم يعط طرقا للمقاربة بينهما.

5- الاختصار:

من الظواهر اللغوية التي كَثُر اللجوء إليها في العصور الحديثة الاختصار، ومعنى الاختصار لغة كما جاء في اللسان:"اخْتِصارُ الْكَلَامِ: إِيجازه. وَالِاخْتِصَارُ فِي الْكَلَامِ: أَن تَدَعَ الْفُضُولَ وتَسْتَوْجِزَ الَّذِي يأْتي عَلَى الْمَعْنَى، والاختصارُ: حذفُ الْفُضُولِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ "[1]، وفي القاموس: "اختصر الكلام: أوجزه"[2].

أما معناه في الاصطلاح فلم يبتعد عن معناه في اللغة، فقيل هو ما قلّ لفظه وكثرت معانيه وقيل الاختصار إيجاز اللفظ مع استيفاء المعنى، أوما دلّ قليله على كثيره[3].

وللاختصار أشكال عديدة ليس السياق هنا لذكرها[4]، غير أن هذه الظاهرة لفتت نظر الحسيني، فتناولها في مقال تحت عنوان (اختصار الكلمات)، وقد عرّف الحسيني الاختصار على أنه "الاستعاضة عن الكلمة أو الجملة بأوائل حروفها أو بعضها"[5]، وهذا التعريف قاصر على شكل من أشكال الاختصار وليس شاملًا للاختصار بعموميته، وهذا ما لم يتعرض الحسيني له في

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (خصر)

(2) الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، 2005م، مادة (خصر)

(3) يُنظر: مزهر، عبد الغني أحمد: **قواعد الاختصار المنهجي في التأليف**، مجلة البحوث الإسلامية، الرّياض، عدد59، 1999م، ص345

(4) ينظر في البحث السابق **(قواعد الاختصار المنهجي في التأليف)** فقد جاء صاحبه على أشكال الاختصار

(5) الحسيني، إسحاق موسى: **قضايا عربية معاصرة**، ص31

مقاله، ولعل مثل هذا الشكل من الاختصار لجأ إليه الدارسون "لأن من شأنه أن يوفر على القارئ من زمن القراءة، وعلى الكاتب من حجم الكتاب، والزمن المبذول في كتابته، ومثل هذا الوقت لا يستهان به عند من يقدر الوقت حق قدره"[1]. لأجل ذلك أدرك الحسيني أهمية وجود الاختصار في المؤلفات والكتابات.

تناول الحسيني هذه الظاهرة عارضا بشكل مختصر لبداياتها، والاختصار كما أثبت الحسيني ظاهرة قديمة كان الاستعمال الأول لها على قطع النقود وذلك لصغر حجمها، ومع النهضة العلمية واتساع العلوم كثرت الاختصارات، وإنما لُجئ إلى الاختصار تيسيرًا واختصارًا من الإطالة، وقد توصّل الحسيني أن اللغة العربية من السبّاقات في الاختصار قديمًا وحديثًا، غير أن الاختصار في العربية لم يحظ بضبط وحصر، فاستعمل عرب جنوبي الجزيرة العربية (اليمن) الاختصار في حياتهم، ومن اختصاراتهم استعمالهم أوائل حروف الأعداد بدلًا من أسماء الأعداد كاملة، مثل ذلك استعاضتهم عن كلمة خمسة بحرف الخاء، وقد استعملت الاختصارات في صدر الإسلام عندما دونت المصاحف ومن ذلك اثباتهم فوق الكلمة (لا) اختصارًا لــلا تقف[2].

غير أن المعاجم العربية القديمة كاللسان والتهذيب والجمهرة وغيرها من المعاجم القديمة لم تلق اهتمامًا لمثل هذه الاختصارات، وكان أول معجم عربي قديم تفرّد باستعمال الاختصار هو القاموس المحيط للفيروزآبادي، أما المعاجم الحديثة فقليل منها ما استعمل الاختصار كالمعجم الوسيط، وقد أثبت مجمع اللغة في صدره مجموعة من الاختصارات، أما معجما محيط المحيط والبستان فقد أغفلا هذه القضية [3].

والحسيني يعجب من أن ظاهرة الاختصار لم تُختص بضبط وجمع وحصر لها رغم أن العربية من السّبّاقات فيها، لذلك نراه يدعو مجمع اللغة العربية إلى القيام بهذه المهمة التي لها فائدتان يظهرهما الحسيني "الأولى حصر المختصرات وضبطها وتوحيدها ثم إذاعتها لينتفع بها.

---

(1) مزهر، عبد الغني أحمد: **قواعد الاختصار المنهجي في التأليف**، مجلة البحوث الإسلامية، الرّياض، عدد59، 1999م، ص 348-349

(2) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **قضايا عربية معاصرة**، ص31-33

(3) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **قضايا عربية معاصرة**، ص34

والثانية تعويد الناس الحرص على الوقت في هذه المرحلة التي تشتد فيها المنافسة بين الشعوب، ويستغل قويها ضعيفها"[1].

وبذلك يؤمن الحسيني أن الاختصار ظاهرة لغوية استلزمتها الضرورة أولًا، ثم التيسير والاقتصاد، فنراه يدعو إلى الإفادة منها وإدخالها المعاجم لتألف الأمة العربية الاقتصاد في الجهد والوقت والمادة في عصر أحوج ما نكون فيه إلى الاقتصاد، فالعصر عصر الاقتصاد والإيجاز وظاهرة الاختصار طريق لتحقيق الاقتصاد في بعض جوانب هذا العصر.

6- التعريب

من الظواهر اللغوية التي برزت على الأفق بشكل واضح في القرن الماضي التعريب، وتناولها كثير من الباحثين على أنها من الظواهر الطارئة على الفصحى، وحمل لواء بحث هذه الظاهرة ومناقشتها مجامع اللغة العربية المختلفة؛ وذلك لأن تناول هذه الظاهرة أصبح أمرًا ملحّا في ضوء الانفتاح العالمي والتطور العلمي والحضاري، والتعريب كما عرّفته كتب اللغة "أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على نهجها وأسلوبها"[2]، وهو "ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها"[3]، وقيل فيه: "نقل الكلمة من العجمية إلى العربية سواء وقع فيها تغيير أم لا غير أنه لا يتأتى التعريب غالبًا إلا بعد تغيير ما في الكلمة"[4]، وعرّفه مجمع اللغة في الوسيط: " المعرَّب هو اللفظ الأجنبي الذي غيّره العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب"[5].

وقد تناول الأقدمون من اللغويين هذه الظاهرة، فهي ليست بدعا أو محدثة، وإنما كل أمة تسري في لغتها هذه الظاهرة إن انفتحت على ثقافات الأمم الأخرى، وهي ليست قصرا على اللغة العربية وإنما ظاهرة موجودة في كلّ لغة حيّة، ومما جاء فيها عند القدماء ما قاله سيبويه في كتابه:

---

(1) **نفسه:** ص32

(2) الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، مادة (عرب)

(3) المغربي، عبد القادر مصطفى: **الاشتقاق والتعريب**، مطبعة الهلال، القاهرة، 1908م، ص26

(4) الجزائري، طاهر: **التقريب لأصول التعريب**، المطبعة السلفية، القاهرة، د.ت، ص3

(5) أنيس، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، ط2، دار الدّعوة، القاهرة، ص20

"اعلم أنهم مما يغيّرون من الحروف ما ليس من حروفها ألبتة، فرُبما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه، فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدِرهم ألحقوه ببناء هِجرع وبهرج ألحقوه بسهلب ودينار ألحقوه بديماس، وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أم لم يكن، نحو خراسان وخُرّم وكُركُم، وربما غيّروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيروه عن بنائه في الفارسية نحو: فِرند، بِقّم، آجُر، جُربُز"[1].

فظاهرة التعريب ظاهرة قديمة حديثة إلا أنها أصبحت محط نظر الباحثين مع النهضة العربية، فكان لا بد من جهة تحدد قواعد التعريب وحدوده؛ وكان لا بد لمجامع اللغة العربية من أن تأخذ الأمر على عاتقها، فعقدت اللجان ونظمت المؤتمرات لأجل هذه الظاهرة.

أما الحسيني فلم يغفل عن هذه الظاهرة بحكم عضويته في مجمع اللغة في القاهرة، وقد تناولها بدراسات عديدة، وكان من المحبذين لظاهرة التعريب ولكن بحدود لا تُخل بالعربية، ولذلك نراه معجبًا بمقولة أحمد فتحي زغلول التي يقول فيها: "إذا عرض لنا لفظ أعجمي ترجمناه إلى لغتنا، وإذا تعذرت ترجمته اشتققنا له اسما من لغتنا، وإذا تعذر ذلك استعملنا مكان الأعجمي كلمة عربية مصوغة بإحدى طرق المجاز، وإن لم يكن شيء من ذلك نلجأ إلى تعريبه أسوة بالمعربات السائدة في لغتنا"[2].

ولأجل ذلك يرفض الحسيني الغلو في التعريب والإسراف فيه، وينقد من يضيق بابه ويقصره على النادر والغريب من الألفاظ، حتى نراه يضع شروطًا لتعريب الألفاظ الأعجمية ومتى توافرت هذه الشروط في أي لفظ أعجمي أبيح تعريبه -عدا ألفاظ العلوم التي لها أحكامها- وهذه الشروط هي:[3]

---

(1) سيبويه: **الكتاب**، ط3، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، 1983م، 303/4 -304

(2) أثبت الحسيني هذه المقولة في بحثه الذي نشره في مجلة مجمع اللغة العربي القاهري، وأثبت هذا البحث في كتابه قضايا عربية معاصرة، **(ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: قضايا عربيّة معاصرة، ص 146)**

(3) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **قضايا عربية معاصرة**، ص 151

أولًا: شيوعها في لغتنا المحكية على صورة ما، أي بصورة الاسم أو الفعل، دلالة على أدائها عملًا لم تؤده لفظة أخرى.

ثانيًا: مرونتها مرونة تمكننا من أن نشتق منها ما تتطلبه الضرورة من مصدر واسم فاعل واسم مفعول وما إلى ذلك، قياسًا على الألفاظ العربيّة الأصيلة.

ثالثًا: دقة الدّلالة بحيث لا تستطيع لفظة أخرى أن تؤدي كامل دلالتها.

ونرى الحسيني يعرض مجموعة من الكلمات التي استوفت هذه الشروط فتم تعريبها منها:[1]

1- بَلُّور أو بِلّور من الفرنسية Beryl, Beril وقد شاعت حتى وردت في المعجم الوسيط اسمًا وفعلًا وذُكر فيه أنها دخيلة، ويقال في الكتابة المعاصرة: (تبلورت الفكرة في ذهنه) و(فكرة غير مبلورة)، ويمكن أن يشتق منها فيقال: بلور يبلور بلورة، وتبلور يتبلور تبلورًا ومتبلور ومتبلوَر، والمعنى: صار شفافًا كالبلّور.

2- دُوش من الفرنسية (Douche) المشتقة من اللاتينية (Ducere) وهي مستعملة في المعاجم الإنجليزية مع وجود لفظة مقابلة لها في المعنى، هي (Shower)، وإن كانت أوسع منها دلالة، واللفظة شائعة في العربية المحكيّة، ولا يوجد لفظة عربية تقابلها كما زعم الحسيني[2]، وهي لفظة قابلة للاشتقاق فيقال: دُوش، يدُوش ومدُوش وتدُوش ويتدَوّش ومتدوِّش ومتدوَّش. ولا يغني عنها استحمّ أو اغتسل.

---

(1) يُنظر: نفسه، ص152- 155

(2) ذكر الشرباصي في مذكراته ما يقابل كلمة (دوش) في العربية وهي كلمة (ثَجَاج) فيقول الشرباصي في مذكراته: "واستنجدت بماء الثَجَاج (الدش) فنزلت قطرات بطيئة بلّت رأسي ثم انقطع الماء" ينظر مذكرات أحمد الشرباصي في موقع (إخوان ويكي)، http://www.ikhwanwiki.com، وذكر الحسيني ذلك ولكننا نعجب من قوله: لا يوجد ما يقابل لفظة (دوش) في العربية، وزعم أن ما أبعده عن اقتراح (ثجاج) عوضًا عن (دوش) أنه يتعذر اشتقاق فعل منها، وهذا باطل فقد أثبتت المعاجم الفعل (ثَجّ) ومعناه: الصّب الكثير ويكون للماء وثجّ الماء أي أسالها. **(ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة ثجج)**. وبهذا تكون لفظة (ثَجَاج) مشتقة من الفعل (ثَجَجَ).

3- بسترة (Pasteurize) مشتقة من اسم علم هو (Louis pasteur) واللفظة شائعة على الألسنة ومكتوبة على زجاجات اللبن المبسترة، وهي مما لا يمكن ترجمته، ويمكن أن نشتق منها فنقول: بستَرَ يبستِر بستَرة ومبستِر ومبستَر، ولا تنوب لفظة عقم مكانها؛ لأن التعقيم قتل ما في الشيء من جراثيم بأية وسيلة، في حين تحدث البسترة بغلي السائل بدرجة حرارة تتراوح بين 101- 158 درجة.

إن تعريب مثل هذه الألفاظ الشائعة على الألسنة يغني اللغة العربية كما يعتقد الحسيني، ولأجل ذلك اقترح هذه الألفاظ على مجمع اللغة العربية للبحث في شأنها، ويرى أننا بحاجة إلى تعريب الألفاظ التي برزت مع النهضة العالمية خاصة الألفاظ الفنية منها؛ لأن العرب متخلفون عن ركب الحضارة وهم في مرحلة ألجأتهم الضرورة إلى التعريب، فدخول بضع مئات من الألفاظ المعربة لا يضعف اللغة؛ فاللغة ليست ألفاظًا فحسب وإنما نحو وصرف وأسلوب[1].

ونرى حماسة الحسيني للتعريب في دعوته الدائمة إلى تعريب الألفاظ الفنية ومن ذلك نراه يدعو في بحث له إلى تعريب الألقاب العلمية المتداولة ولا سيّما في المؤسسات العلمية مثل: (دكتور، ماجستير، ليسانس، دبلوم). ومسوّغ هذه الدعوة أن وجود هذه الألقاب لا حاجة لها في ظل وجود ألفاظ عربية قادرة على أن تنوب منابها[2].

وبذلك يقدّم الحسيني ألقابًا علميّة عربيّة عوضًا عن تلك الألقاب الأعجمية، وبإمكانها أن تحمل نفس الدلالة كما يعتقد، ومن هذه الألفاظ التي قدّمها لمجمع اللغة العربية :[3]

1- عالم بدلًا من دكتور، ومنها عالميّة بدلًا من دكتوراه[4]. وقد اختلطت لفظة دكتور وحكيم

---

(1) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **قضايا عربية معاصرة**، ص156

(2) ينظر: **نفسه**: ص64

(3) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **قضايا عربية معاصرة**، ص66- 68

(4) نظرته قاصرة؛ وذلك لأن لقب عالم لا يحمل الدلالة التي يحملها لقب (دكتور) فالعالم تدل على الشمولية في العلم وعالم اللغة هو العالم في صغيرها وكبيرها بينما لقب (دكتور) يحصل عليه الشخص بمجرد نيله درجة علمية عالية من جامعة وقد لا يكون هذا الشخص عارفًا بكل جوانب الموضوع، والأقرب إلى لقب دكتور لقب المتخصص، فنقول (دكتور في النحو) يوازيها (متخصص في النحو) بينما العالم في النحو لا تنطبق مع (دكتور في النحو).

دون مسوغ، وأحدثت بلبلة في البلاد العربيّة. ويسعى الحسيني بهذا اللفظ (عالم) التخلص من اللفظ الأعجمي، وإزالة اللبس بين المدرِّس في الجامعة (دكتور) وبين الطبيب الذي يطلق عليه اسم (دكتور).

2- أستاذ بدلًا من حامل ماجستير ومنها أستاذيّة، وأصلها من اللاتينيّة (Magnus) بمعنى عظيم، وتطلق اصطلاحًا على الدّرجة العلمية الثانية بين البكالوريوس والدكتوراه.

3- إجازة بدلًا من ليسانس، ومنها مُجاز في الآداب، ولا حاجة لبكالوريوس لأنها تعادلها والأولى فرنسية والثانية إنجليزية.

لقد آمن الحسيني بأن التعريب جزء من مواكبة الحضارة العصرية ولكنّه محافظ على لغته مرتبط بها، لذلك لا يطلق العنان لهذه القضية بغير تحديد، فقاعدة التعريب كما يؤمن هي الدقة والوضوح لا العصبية، ورؤيته هي أنه "إذا كانت اللفظة الأعجمية لا تنتقل إلينا بكامل دلالاتها بدقة ووضوح إلا بلفظها لا ينبغي أن يحول حائل دون تعريبها، على أن نحاول إخضاعها لقياسنا اللغوي ما أمكن"[1].

وليس بعيدا عن ظاهرة التعريب، دعا الحسيني في بحث له إلى تعريب التعليم العالي والجامعي في فلسطين، وقد عرض في بحثه حجج من يرون أفضلية التعليم باللغات الغربية وحجج أنصار تعريب التعليم، ونراه يقدّم حلولًا وسطيّة من خلالها يمكن الوصول إلى تعريب التعليم، على أن يتم تطبيق ذلك في ثلاث مراحل وهي كما اقترحها الحسيني:[2]

الأولى: أن تكون اللغة الغربية لغة تدريس العلوم والتكنولوجيا مدة قصيرة ولكن يجب أن يكون تدريس معظم العلوم الإنسانية باللغة العربية وحدها.

الثانية: أن يتم التدريس باللغتين العربية والغربية، بحيث يستعين المعلم بالكتاب الغربي والأدوات الغربية ويشرح بالعربية كما هو الواقع في اليابان.

---

(1) الحسيني، إسحاق موسى: **قضايا عربيّة معاصرة**، ص156

(2) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: ***تعريب التعليم العالي الجامعي*– ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل والروح الجامعية**، عمان، دار الجليل للنشر والتوزيع، 1985، ص181

الثالثة: يكون التدريس في هذه المرحلة بالعربية بعد أن يتوافر الأساتذة الذين درّسوا العربية، وألفوا بها ووقفوا على مصطلحات العلوم، أي بعد أن يتكون جيل جديد يقف على قدم المساواة مع الأساتذة والباحثين الغربيين.

والخلاصة أن الحسيني شجّع التعريب سواء تعريب الألفاظ أم تعريب التعليم؛ وذلك بغية النهوض بالأمة العربية ولغتها من الكبوة التي عانتها بسبب التخلف عن ركب الحضارة والحياة العلمية الحديثة، ولكن مع دعوته هذه يبقى الحسيني أصيلًا للغته محافظًا عليها فنراه يضع حدودًا لتعريب الألفاظ الأعجمية فلا يكثر من التعريب ولا يردّه، وإنما ما أثرى العربية وأفادها قبله ودعا إلى تعريبه.

7 ـ خصائص اللغة العربيّة

ظهر لنا من قبل أنّ الحسيني أحب اللغة العربية وتعلّق بها وربطها بالقومية العربية، ودافع عنها دفاعًا نابعًا من إيمانه بأن اللغة هي رمز الوحدة والحضارة العربية قديمًا وحديثًا عبر قرون عديدة، ولم يترك فرصة أتيحت له إلا دافع عنها وفضّلها وأبرز أهميتها ودعا إلى العناية بها وحفظها وتطويرها، ورأى أنها أثر من آثار العقل لذلك يمكن استنباط خصائصها من العقل، واللغة ممثلة برموزها الصوتية ما هي إلا انفعالات وصلت إلى العقل فعبّر عنها، وبذلك أبرز الحسيني أنّ اللغة العربية تحلّت وانمازت بخصائص عديدة، وهذه الخصائص كما بيّنها هي:

أولًا: اللغة العربية لغة قوالب محدودة رتيبة وضعت في وقت واكتسبت القيمة النهائية، فالعربية في مراحلها القديمة كانت مكوّنة من جذور تؤدي معاني أولية ثم تطورت وأخذت الجذور تنمو بزيادة على الأصل لتؤدي معاني إضافية، وهذه الزّيادة محصورة في الحروف المجموعة بقولك (سألتمونيها) ثم توقف النمو على ذلك وأجيز القياس عليه[1].

ثانيًا: اللغة العربية لغة انبثاقية وتنمو نموًا ذاتيًا؛ "لأن الأصل الثلاثي للكلمة هو النواة التي انبثق منها عدد من الأفعال ذات الدلالات المختلفة بعض الاختلاف، وهذا يدل على أنّ النمو في العربيّة

(1) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **أزمة الفكر العربي**، ص 102 و 108

ذاتي انبثاقي من أصل منفرد"[1] وذهب الحسيني إلى أنّ هذه الخاصية غير موجودة في اللغات الأوروبية؛ فليس فيها مزيدات من أصل ثلاثي، فالعربية تنمو من الداخل نموًا بنائيًا بينما اللغات الأوروبية تنمو من الخارج بالاستعانة بألفاظ جديدة لتدلل على معنًى معين، ومن ذلك الزّيادة في الفعل(فَتَحَ) ليصبح (فَتّح) لو تم ترجمة الفعل المزيد إلى الإنجليزية لاحتجنا إلى ألفاظ جديدة لندلل على ذلك (He opened serverely)[2] ومن هذا يظهر أن اللغة العربية لغة إيجاز واختصار مقارنة باللغات الأوروبيّة.

ثالثًا: اللغة العربية لغة موسيقية، فعلم العروض الذي هو أحد علوم اللغة يقوم على الموسيقا، وهذه الموسيقا متنوعة ومختلفة باختلاف البحور العروضية التي هي ستة عشر بحرًا، وهذا التنوع الموسيقي لا نظير له في اللغات الأوروبيّة[3]. وفي اللغة العربية موسيقا كلامية خاصة قوامها هي المقطعية التي لا تعدو أن تكون طويلة أو قصيرة[4].

رابعًا: العربية لغة مرنة ليست ضحلة ولا معقّدة، فهي "تجمع بين دقّة اللغة اللاتينية المُعْربة ويسر اللغة الإنجليزية التحليلية"[5] وتبرز أهمية هذه المرونة في قدرة اللغة على حمل جزء كبير من المادة الفكرية الإنسانية. واللغة العربية استطاعت أن تنقل جزءًا غير قليل من التراث الإنساني من مصادر مختلفة كالهندية واليونانية، دون أن تجد معوّقًا فيها ويعود هذا للمرونة التي تتصف بها.

ويمكننا القول إنّ خصائص اللغة العربية كثيرة وعديدة لا يمكن ذكرها في بضع نقاط، وإنّ "اللغوي العربي لا بد له إذا أراد التخصص في اللغة العربية من أن يعرف أخواتها الساميّات حتى يقف على خصائص العربية وقفة دقيقة"[6]، وما كان عرض الحسيني لخصائص العربية سوى شذرات من خصائصها، والتي وصل إليها من خلال مقارنته بينها وبين اللغات الغربية التي تعلّمها بحكم تأثره بعلماء الغرب الذين تتلمذ على أيديهم، ويبقى شيء أخير نقوله في الحسيني من خلال

---

(1) **نفسه:** ص 101

(2) ينظر: **نفسه**، ص 102 – 103

(3) ينظر: **نفسه**، ص 106 – 107

(4) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **المقطعية في اللغة العربية– مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة**، ج 15، 1963م، ص55

(5) الحسيني، إسحاق موسى، **في الأدب العربي الحديث**، ص9

(6) حامد، أحمد حسن: **السكاكيني في النهضة الفكرية المعاصرة**، ص91

هذا السياق وهو أنّه تأثر بعلماء المشرقيات ومناهجهم وطرق تناولهم اللغات ومقارنتهم بعضها ببعض، فرأيناه يقارن العربية باللغات الغربية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية وغير ذلك من اللغات الغربية.

ثالثًا: آراؤه في الأصوات والنّحو والعروض:

شغل الحسيني منذ وقت مبكر من حياته بدراسة الأصوات والحروف. فقد اشترك خبيرًا في لجنة اللهجات في المجمع اللغوي القاهري[1]، وكتب غير بحث تناول فيها بعض القضايا المتعلّقة بالأصوات والحروف في اللغة العربيّة، إلّا أنّ هذه الأبحاث لم تكن شاملة أو موسّعة بل كانت ملامح بسيطة، لذلك لم نرَ له آراء عميقة في هذا الجانب من اللغة على عكس أستاذه خليل السكاكيني الذي تعمّق في أبحاثه بهذا الجانب[2].

(1) ينظر: أبو لبن، جميلة عبد الفتاح: **إسحاق موسى الحسيني سيرته وآثاره**، ط1، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 2001، ص 52

(2) أثبت الدكتور أحمد حسن حامد أبرز آراء السكاكيني في الأصوات والحروف في كتابه (**السكاكيني في النهضة الفكرية المعاصرة**)، ينظر في الكتاب ص91- 108.

ومما توصّل الحسيني إليه في أبحاثه أنّ الكلمة في العربية مكوّنة من مقاطع عديدة، والمقطع هو صامت يليه صائت قصير أو طويل، وأصل الكلمة في العربية -جذرها الثلاثي- مؤلف من ثلاثة مقاطع قصيرة، ومن هذا الأصل تنبثق الدلالات الجديدة وذلك بزيادة حرف أو أكثر إليه[1].

ويرى الحسيني أنّ العربي الأول تكلّم مقطعيًا، سواء أمقطعًا واحدًا أم مجموع مقاطع، أي أنه لم يبدأ كلامه بساكن وإنما بصامت يليه حركة طويلة (العلّة) أو قصيرة، ورغم ذلك يرى الحسيني أنّ اللغويين والنحويين القدامى لم يفطنوا إلى المقطع في دراساتهم الصوتيّة للّغة[2]، ومن ذلك خلو معاجم اللغة من تعريف للمقطع اللغوي، غير أنّ الحسيني لم يكن دقيقًا في ذلك إذ إنّ خلو المعاجم اللغوية من تعريف المقطع الصوتي لا يعني أنّهم لم يفطنوا له، فالفارابي في كتابه (الموسيقى الكبير) جاء على المقطع وإن لم يكن بصورة واضحة كما وصل إليه علماء اللغة في العصر الحديث[3]، ويقرُّ الحسيني أنّ المقطع هو أصغر وحدة في اللفظ، وهو بذلك يخالف الرعيل الأول من اللغويين الذين يقولون أنّ الصوت هو أصغر وحدة لفظية ونراه يعيد رؤيتهم هذه إلى تدوين اللغة فيرى "أنّ اللغة لو لم تدوّن ولم يرها العلماء القدامى مرسومة لنظروا إليها هذا النظر الحديث"[4]، وقد أثبت الحسيني أنّ المقطعية في اللغة تساعد في تدريس اللغة بيسر وسهولة[5].

وإذا نظرنا إلى ما كتبه الحسيني في جانب الأصوات والحروف نجد معظمه إثباتًا وجمعًا لما توّصل إليه اللغويون المحدثون، فلم يأت بدعوات جديدة أو رؤى مخالفة لما سبق من آراء

---

(1) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **المقطعية في اللغة العربية- مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة**، ج 15، 1963م، ص50

(2) ينظر: **نفسه**: ص51

(3) ينظر: الفارابي، أبي نصر: **الموسيقى الكبير**، تحقيق غطاس خشبة، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت، ص1075-1077

(4) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **المقطعية في اللغة العربية- مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة**، ج15، 1963م، ص51

(5) ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: **الإفادة من المقطعية في تدريس العربية- مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة**، ج21، 1969م، ص65-71

ونظرات، غير أنه دمج هذه الآراء والأساليب التدريسية بحيث تساعد في تيسير تعليم العربية، وتجنب التلميذ بعض الصعوبة التي تعيقه في عمليّة التعلّم.

أمّا نظرة الحسيني إلى اللغة من الجانب النحويّ فتتضح من خلال معرفة أسلوبه ومنهجه، فقد كان الحسيني متحررًا من قيود القديم وقداسته بخلاف أستاذه إسعاف النشاشيبي، وهذا ما ظهر في أسلوبه اللغوي، وكان بهذا من دعاة التجديد في اللغة بحكم تأثره بعلماء المشرقيات وأساتذة التجديد في عصره، فآمن بالتجديد دومًا ودعا إليه، وآمن أنّ الحياة تسير والرّكب العلمي والحضاري بتسارع مستمر لا يتوقف، ولكي يواكب العرب هذه الحضارة وجب عليهم التجديد والتطوير.

إنّ هذه النظرة التجديدية عنده سارت في رؤيته للنحو العربي، فأيقن ضرورة تجديد قواعد اللغة، ومع ظهور دعوات لإصلاح الحروف العربية، وقف الحسيني في جهة أخرى ورأى أنّ إصلاح قواعد اللغة العربية ممثلة بنحوها مقدّم على إصلاح الحروف، ويرى أن كتب اللغة القديمة أشبه بآثار تاريخية وبذلك

فإن طالب اللغة ينفر منها أشد النفور ويرى الطالب فيها التشويش والمشقة وعدم المنطقية، ويدعو الحسيني لعملية تجديدية لكتب النحو من خلال "وضْع كتب جديدة في القواعد مسترشدين بعلم اللغة من جهة وعلم التربية والتعليم من جهة أخرى"[1].

وبحق إنّ نظرة الحسيني التجديدية في النحو كانت مبنية على أسس تربوية بحكم اتصاله بالجانب التعليمي، ولذلك لم نره يرفض النحو ويدعو لإلغائه؛ لأنه جزء لا يتجزأ من اللغة العربية بل أساسها، إذ نراه يضع كتابًا في أساليب تدريس اللغة العربية تناول فيه مواضيع العربية من خلال علم التربية الحديث، ومن القضايا التي تناولها فيه طرق تدريس النحو وتجاوز الصعوبة فيه.

وفي ظل وجود دعوات لإلغاء النحو بداعي التجديد، وقف الحسيني ماسكًا العصا من الوسط، فلم يتمسك بالقديم وكتب اللغة القديمة وبالعلل والعوامل النحوية وكذلك لم يدع إلى إلغاء النحو وفنائه، وبهذا نراه يخالف أستاذه إسعاف النّشاشيبي الذي تمسك بالقديم ويرى فيه أنه "غالى

(1) الحسيني، إسحاق موسى: **أزمة الفكر العربي**، ص 93

غلوًّا شديدًا في التّمسّك بالقديم، وغالى في نقد المجددين الذين تأثروا بالفكر الغربي"[1]، وكذلك يخالف أستاذه وصديقه خليل السكاكيني الذي دعا إلى إلغاء النحو[2] قياسًا على اللغات الغربيّة، وقد ردّ الحسيني على هذه الدعوة ورأى فسادها لأمرين هما:[3]

أولًا: إنّ الدعوة إلى إلغاء النحو قياسًا على استغناء القدامى عنه لا تصحّ؛ لأن اللغة الفصيحة عندهم ملكة أمّا العرب فالعامية عندهم هي الملكة.

ثانيًا: الدعوة إلى إلغائه قياسًا على النزعة الحديثة في بعض اللغات الغربية لا تصحّ؛ لأن لغة الكلام عندهم قريبة من لغة القراءة والكتابة وليس الحال عندنا كذلك.

وقد بيّن الحسيني إزاء ذلك فضل تعلم قواعد النحو في تيسير قراءة الكتب والصحف المدونة بلغة مباينة للغة المحكية التي يتكلم بها الناس في حياتهم، ويرى الحسيني أنّ توحيد اللغة الفصحى في المدرسة لا بد منه بل يجب أن يتعدى إلى توحيدها في البيت والمجتمع؛ لأن من شأنه أن يقارب بين اللغة وقواعدها، ودعا إلى ضرورة تجريد القواعد التطبيقية من القواعد النظرية، وتدريسها إلى أن ترتقي الشعوب[4].

أمّا رؤيته فهي التيسير والتسهيل دون إفراط أو تفريط كما يرى، ولذلك آمن الرّجُل بضرورة تيسير قواعد اللغة على المتعلمين من خلال الربط بين العلوم اللغوية وعلم التربية الحديث، اعتقادًا منه أنّه قد خالطها من التعقيد ما ليس مهمًا في تعلّم اللغة، إذ مع مرور الزمن أصبحت القواعد غاية وموضوعًا يقصد لذاته، وهذا مخالف للغاية التي أريدَ منها وهي تقويم اللسان، فمن العبث بنظر الحسيني أن يكون تعليم القواعد مقصودًا لذاته؛ لأن فائدة تعلّم القواعد هي

---

(1) الحسيني، إسحاق موسى: **من ذكريات العمر– الحلقة الرابعة، مجلة الفجر الأدبي**، عدد 29، السنة الثالثة، حزيران 1983، ص18

(2) قدّم السكاكيني اقتراحًا لمجمع اللغة يدعو فيه لإلغاء النحو، ودعا فيه إلى الاستغناء عن القواعد النحوية بجملتها قياسًا على اللغات الغربية . **(ينظر: السكاكيني، خليل: *النحو*– مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، ج7، 1953م، ص325–329)**.

(3) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **خليل السكاكيني الأديب المجدد**، ط1، القدس، دار الطفل العربي، 1989، ص 113

(4) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **خليل السكاكيني الأديب المجدد**، ص113

تقويم اللسان واليد، وإيمانه بهذا جعله يدعو لإقران القواعد بدروس القراءة والإنشاء، بحيث يتم اكتساب القواعد اكتسابًا كما اكتسبها القدماء[1].

وبهذا المنظور التعليمي لقواعد اللغة عند الحسيني يظهر تأثير فكره ومنهجه اللغوي على الجانب التعليمي عنده، فهو من دعاة التيسير والتجديد في اللغة والخروج بها عن النمط القديم، وفي تعليمه لقواعد اللغة نرى دعوة التيسير واضحة عنده فلم يتمسّك بالقواعد اللغوية ويتحجر على ضرورة تعلّمها كما هي وإنما تساهل فيها.

ويرى الحسيني أنّ هناك مشكلة وصعوبة عند أبناء العربية في قواعد لغتهم، ودليل ذلك أنّ الإفرنج يتقنون العربيّة ولا يعانون في تعلّمها ما يعانيه أبناء العربيّة من مشاق وصعوبات، فعلماء المشرقيّات يتقنون قواعد اللغة العربيّة رغم قصر مدّة التعليم واختلاف قواعد العربيّة عن قواعد لغاتهم، بينما أبناء العربيّة يقضون سنوات طويلة في تعلّم قواعد لغتهم ويخرجون من ذلك مضطربين أشد الاضطراب، وفي هذا الجانب يُرجِع الحسيني سر هذه الصعوبة في قواعد اللغة إلى علّتين، الأولى عقم أسلوب تعليمها، فيرى أنّ الأسلوب المتّبع عند العرب في تعليم القواعد هو سبب ضعف أبناء العربيّة فيها وشكواهم منها ومن تعقيداتها، فقد جرت العادة أن تقدّم القواعد للطالب بشكل مكثّف مما يؤدي إلى عجز الطالب عن الإحاطة بكلّ القواعد التي يدرسها، ويقدّم الحسيني حلًا لهذه المعضلة من خلال تقسيم القواعد إلى أجزاء تتناسب وعدد السّنوات التي يدرسها الطالب واختيار ما يناسب عقل الطالب وإدراكه في كل سنة بحيث تكمّل كل سنة ما قبلها[2].

أمّا العلة الثانية لصعوبة قواعد العربية برأي الحسيني هي التشويش والتعقيد الموجودة بالمادة وما يفرض على الطّالب من إعراب لا يستسيغه العقل، فيدعو الحسيني إلى تجريد القواعد من العلم الفلسفي الجدلي الموجود فيها، وتقديم القواعد على أنها وسيلة لتقويم اللسان لا غاية بذاتها، ويدعو إلى ترتيب القواعد والحدّ من تشعّبها، ويدعو إلى تيسير الإعراب والخروج عن تعبيراته الغامضة الجافة وأساليبه المعقّدة المغرقة في السّخف فهي أثر من آثار المناطقة في القرون الأولى،

(1) ينظر: **نفسه:** ص17

(2) يُنظَر: الحسيني، إسحاق موسى: **رأي في تدريس اللغة العربيّة**، دار مجلة الكلية العربية للنشر، القدس، 1937م، ص11-14

فيدعو إلى الاقتداء بالإفرنج في تحليل جملهم، وطريقته في الإعراب هي الاقتصار على الأصول منه دون الفروع[1].

ومن الأمثلة التي يمكن تمثيلها في طريقة الإعراب التي يدعو الحسيني إليها إعراب (يقوم الرجل) فنقول: يقوم فعل مضارع، والرجل فاعل، فهو بذلك يدعو إلى حذف معظم الإعراب والاكتفاء ببيان حالة اللفظ من الإعراب.

ونراه يذهب في تيسير الإعراب إلى طريقة أخرى، وهي اللجوء إلى الإسناد فنقول يقوم مسند، والرجل مسند إليه وفي هذا يقول الحسيني: "وإن شئت طريقًا مختصرًا يضرب مسند وزيد مسند إليه، وعلى هذا القياس تستطيع أن تقسم أكثر المرفوعات من مبتدأ وخبر وفعل وفاعل ونائب فاعل واسم كان وأخواتها واسم كاد وأخواتها واسم ما ولا ولات وإن النافيات دون أن تلجأ إلى مصطلحات النحاة الغامضة"[2].

ويدعو الحسيني إلى حذف الشّواذ في القواعد والاكتفاء بوجه واحد في حال تعدد وجوه القاعدة، ويرى الحسيني في عرضه لهذه القضية أنه لم ير أحدًا من المؤلفين تجرأ على إصلاح القواعد القديمة وحصرها بما يلائم غرض الطالب وعقليته، وبذلك يدعو إلى إصلاح القواعد إصلاحًا علميًا جامعًا[3].

إنّ زعْمَ الحسيني أنّ أحدًا لم يجرؤ على إصلاح القواعد لا نتفق معه فيه إن كان مفهومه للإصلاح ما قدّمه هو، ذلك أنّ ما قدمه الحسيني في تقديم القواعد لا يختلف عمّا قدّمه دعاة التيسير والتجديد من قبل، فقد كتب كثير من الكتّاب في قضية التيسير ومنهم خليل السّكاكيني الذي يبرز أثره الكبير على الحسيني في هذه القضية، ورغم أنّ الحسيني قد وضع كتابًا في خليل السكاكيني ومن الأكيد أنه اطّلع على آراء السكاكيني في تيسير النحو والتي يشابه كثير منها آراءه إلا أنه نفى

(1) ينظر: **نفسه:** ص19-23

(2) الحسيني، إسحاق موسى: **رأي في تدريس اللغة العربيّة**، ص23

(3) **نفسه:** ص25

أن يكون هناك أحد قد دعا إلى إصلاح القواعد، وهذا محط تعجب، فهل ما قدّمه الحسيني من آراء في تعليم النحو الإعراب مغاير لما سبقه حتى يسميه إصلاحًا؟

إن دعوة الحسيني هذه في تيسير القواعد والإعراب لم تأت صريحة مفصّلة عنده إذ نراه يقدّمها في بضع صفحات في كتاب تربوي وليس لغوي، وهذه الجرأة في تقديم نظرة شاملة للتيسير اختفت في كتبه التي دعا فيها إلى التيسير، أمّا في كاتبه (خليل السكاكيني الأديب المجدد) فقد عرض جزءًا من دعوة السكاكيني لإلغاء النحو، وردّ على السكاكيني دعوته وأظهر بطلانها إلا أنّه لم يقدّم رأي السكاكيني في تيسير النحو لدارسيه.

والحق أنّ في دعوته هذه لم يأت بشيء مغاير في قضية التيسير، فقد جاءت مجامع اللغة بمقترحات كثيرة لتيسير النحو شملت ما جاء به الحسيني[1]، غير أنّ كل هذه المقترحات فشلت ولم تخرج خارج التنظير، أمّا الحسيني في دعوته هذه فيظهر فيها أحد أمرين، الأول التردد وعدم جرأة الحسيني في تقديم مقترح شامل لتيسير النحو ولا سيما أنّ الاقتراحات التي سبقته واجهت هجومًا عنيفًا من أصحاب المنهج اللغوي المحافظ فكان طريقها هو الفشل.

أما الثّاني فهو عدم قدرته على وضع مقترح شامل لتيسير النحو يحفظ فيه التراث النحوي ولا يسقطه سيّما أنه رفض إلغاء النحو كما رأى السكاكيني، ولذلك برز عنده طلب التيسير من الأساتذة واللغويين أثناء تعرّضه لهذه القضية، فقال: "وإلى إصلاح قواعد اللغة العربية إصلاحًا علميًا جامعًا أدعو حضرات الأساتذة الذين يشاركوني الرأي"[2].

إنّ كل دعوة الحسيني للتيسير ظهرت في ضوء المادة التعليمية والتي أراد تقديمها تيسيرًا للقواعد لطلبة المدارس وتسهيل طريقة التّدريس للمعلم، وهذا الطّرح عنده كان في ضوء منهج المعاصرين الدّاعين للتجديد في اللغة، ومن هذا المنطلق يسير في المسار التطبيقي ولا يكتفي بالتنظير، فنراه بذلك يضع كتابًا بالاشتراك مع عيسى عطا الله في قواعد اللغة العربية لطلبة

---

(1) للتّعرف على الاقتراحات التي قدّمت في سبيل تيسير النحو ينظر في كتاب **(النحو العربي بين الأصالة والتجديد)** لعبد المجيد عيساني والذي أثبت في كتابه مقترحات المجامع اللغوية والكتّاب في تيسر النحو

(2) الحسيني، إسحاق موسى: **رأي في تدريس اللغة العربيّة**، ص25

المدارس أسماه (الأساس في قواعد اللغة العربيّة)، وذهب فيه مذهب التيسير والتسهيل على الطّالب، أمّا طرق تذليل الصّعاب التي اتّبعها في كتابه، وهي[1]:

أولًا: ربط القواعد بالنّصوص التي ترد عن سبيل المحادثة في مطلع الدّرس، وعن سبيل القراءة في ختامه، وبذلك تجيء القاعدة نتيجة يسهل استيعابها.

ثانيًا: تقديم القواعد التي يحتاج إليها الطّالب في أثناء القراءة والكتابة، والتي تلائم مستواه العقلي، وبذلك أخُذ من كتب القواعد ما هو أساس فيها وتم تبسيطه بأسلوب يسير، واستُغني عن التعقيدات والتّفرعات الموجودة في القواعد.

ثالثًا: تخفيف مصطلح النّحو إلى أبعد حدّ مستطاع؛ كي يصل الطّالب إلى الغرض الذي وضعت القواعد من أجله دون عائق، فليس بخاف أنّ القواعد إنّما وضعت لتقويم القلم واللسان، وأنّ النّحاة أسرفوا في التّفريع والتفّصيل حتى خرجوا عن القصد.

رابعًا: الاعتماد على كثرة تمارين الإعراب حتى يكون للتطبيق مساحة كبيرة؛ لأن التطبيق هو الذي يثبّت القاعدة في عقول الطّلاب، وحتى يستعان بالتكرار الذي خير وسيلة لفهم النشء.

خامسًا: الاعتماد على جمل بسيطة مصطنعة، وليست شواهد نحويّة ولا أبيات شعر.

سادسًا: اعتماده تيسير الإعراب الذي دعا إليه وهو الاقتصار على الأساس فيه وإهمال الفرعيات فيقول في إعراب (لا تضيّع وقتك في اللعب) لا: حرف نهي وجزم، تضيّع: فعل مضارع مجزوم، وقت: مفعول به منصوب، الكاف ضمير متّصل ينوب عن اسم الجر، في اللعب: جار ومجرور. وفي (إنّ الطفل نائم) إنّ: حرف توكيد ، الطفل: إسم إنّ، نائم: خبر إنّ ،وبهذا يظهر إلغاء البناء في الإعراب ويسقط علامات الإعراب الضمة والفتحة والكسرة والسكون.

الحق أنّ دعوة الحسيني لإسقاط علامات الإعراب دعوة لا تقوم على أساس؛ وذلك لأن العربية لا تقوم إلا بالإعراب وهي لغة مُعربة، فالإعراب فيها له معان ودلالات لا يمكن تجاوزها، فالرفع له

(1) يُنظَر: الحسيني، إسحاق موسى وعيسى عطا الله: **الأساس في قواعد اللغة العربيّة**، دار المعارف، مصر، 1954م، 3/1

معنى والنصب له معنى وكذلك الجر، ولو أردنا تطبيق نظرية الحسيني على جملة (ضرب الرجل جاره) لن نصل إلى المعنى الصواب إلا بالحركات الإعرابية، وإذا استثنينا هذه الحركات لجاز أن يكون الرجل فاعلًا أو مفعولًا به، وبهذا يحدث لبس وخطأ، ومن جهة أخرى فإن النص القرآني لا يقوم إلا على الحركات الإعرابية فإسقاط حركة بل تغير واحدة بأخرى كفيل لتحريف المعنى الصحيح عن صوابه وخير دليل في ذلك قوله تعالى: **"أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ"**[1]، وبذلك فإن دعوة الحسيني باطلة لا يعتدّ بها في تيسير النحو.

ويظهر مما سبق أن منهج الحسيني اللغوي كان حاضرًا في عرضه للجانب التعليمي النحوي، فلم يتمسّك بما أقرته كتب النحو القديمة فخالف القدماء ومن سار على نهجهم من المعاصرين، فمنهجه اللغوي التجديدي ترك أثرًا في الجانب التربوي التعليمي عنده، ولذلك كانت نماذج اللغة الموجهة إلى الطالب في كتبه التعليمية بسيطة سهلة، ليس فيها أي قوة في اللفظ أو جزالة في التركيب، والحق أنّ منهجه التعليمي للغة ترك أثرًا فيمن خلفه من الدارسين في المجال التربوي وكذلك في المؤسسات التعليمية ولا سيما الفلسطينية منها، إذ أُخذت كثير من آرائه في منهجية تدريس مواضيع اللغة العربية وطُبق كثير منها في البيئة التعليمية المدرسية، وهذا ما كان يسعى غليه الحسيني من تيسير على طلاب المدارس.

أمّا رؤيته في علم العروض فقد وقف الحسيني عند هذا العلم من جانب تعليمي ورأى أنه يحسن تسمية هذا العلم بالموسيقى الشعرية؛ حتى لا يُفهم من العروض ذلك العلم الواسع الذي يذهب إليه العروضيون[2]، وبهذا فهو يذهب مذهب التيسير الذي اتّبعه في النحو، وهذا هو منهج المجددين في اللغة والحسيني ممن كان يسير في هذا المنهج، وقد أثبت ذلك في كتابه الذي أسماه (العروض السّهل) فاسم كتابه الذي اشترك معه في وضعه فايز الغول يوحي بمنهجه وفكره الذي يدعو إليه، إنه منهج التيسير والتسهيل والبعد عن التعقيد الذي سار فيه علماء اللغة القدامى، فجاء في مقدمة الكتاب "لقد بذلنا الجدّ كلّه في أن يعود هذا الموضوع الصّعب إلى ما ينبغي أن يكون عليه من

(1) سورة التوبة: آية 3

(2) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **أساليب تدريس اللغة العربيّة**، ص35

السّهولة واليسر، بتجريد المصطلحات والتّفصيلات التي كانت أكبر علّة في استعصائه على الطّالبين"[1].

فالحسيني في علم العروض يسقط المصطلحات العروضية والفرعيات في هذا العلم، ويقتصر فيه على أساسياته من بحور شعرية وتقطيع صوتي وعروضي، وبهذا يقدّم طريقة تسلسلية لتدريسه تتناسب وقدرة الطالب على استيعاب هذا العلم، ويمكن إجمال طريقته في تدريس العروض بالآتي[2]:

أولًا: تكليف الطّلاب بتقسيم الكلام إلى مقاطع، ويقتصر هذا التقسيم بداية على الجمل دون الشعر.

ثانيًا: استمرار تقسيم الكلام إلى مقاطع مع تكليف الطّلاب بتقطيع الشّعر.

ثالثًا: تقديم أنواع المقاطع للطلاب (قصيرة وطويلة) مع التفريق بين المقطع الطويل.

رابعًا: تعريف الطّلاب بوحدات البيت الشّعري أو ما يعرف بالتفاعيل بواسطة الأذن حينًا والرموز حينًا آخر مع تذكير الطّلاب أنّ الموسيقى الشّعرية هي موسيقى لا تصوير وأنّ آلتها الأذن لا العين.
خامسًا: تعليم الطّلاب ما يطرأ على التفعيلة من وجوه جائزة، مع تعليمهم القدرة على إكمال بيت شعري ينقصه كلمة أو كلمتان.
سادسًا: ربط المحفوظات بالعروض على أن يحفظ الطّلاب قصائد بحيث يكون الاعتماد على الشّعر الجيد لا الشّعر الرديء.

أمّا الغرض الذي يتأتى من تدريس العروض فهو تذوّق الطّلاب الموسيقى التي تميّز الشعر من النثر كما يرى الحسيني، وأن يُمرّنوا على إظهار هذه الموسيقى في أثناء إنشادهم وجعل الموسيقى الشّعرية مألوفة عند الطّلاب ليتمكّنوا من التّعبير عمّا تجيش به نفوسهم شعرًا[3].

على هذه القضايا اقتصر الحسيني في عرضه علم العروض متجاهلًا كثيرًا من التفرعات المتّصلة به، وهذا ينطبق وكتابه الموسوم بالسهولة،وقد تحاشى فيه وعورة مسالك العروضيين وما

---

(1) الحسيني، إسحاق موسى وفايز الغول: **العروض السّهل**، ط10، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1960م، 3/1
(2) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى وفايز الغول: **العروض السّهل**، ص36-38
(3) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **أساليب تدريس اللغة العربيّة**، ص35

ذهبوا إليه من تعليل وتفصيل فيه، وبالنظر إلى كتابه نرى أنه حوى فيه أشعارًا للقدماء والمحدثين وقد اتّسمت بسهولة ألفاظها وبعدها عن جزالة اللفظ ورونقه، كلّ هذا ينطبق وفكره اللغوي الذي يدعو له.

الفصل الثالث

الاختلاف والالتقاء بين النشاشيبي والحسيني في ضوء الأصالة والمعاصرة

أولًا: الاختلاف بين النشاشيبي والحسيني.

1- في الأسلوب
2- في اللفظ والمعنى
3- في الحرف العربي
4- في تيسير النحو
5- في المنهج التعليمي

ثانيًا: الالتقاء بين النشاشيبي والحسيني.

1- في الدّفاع عن العربية
2- في رفض الدّعوة إلى العامية
3- في رفض الكتابة باللاتينية
4- في تيسير النحو

أولًا: الاختلاف بين النشاشيبي والحسيني.

لعل من أهم القضايا التي أثيرت في العصر الحديث وأحدثت خلافًا عظيمًا وجدالًا طويلًا بين الأدباء والنقاد واللغويين قضية (القديم والجديد). أما القديم والجديد فهو مفهوم أدبي حديث ظهر بفعل التطور الأدبي الذي برز على الساحة الأدبية العربية في حقبة زمنية عُرفت بعصر النهضة، مثلما عرف أدبنا العربي القديم من قبل مفهوم (القدماء والمحدثين) في حقبة زمنية مماثلة من تاريخ الالتقاء بين العرب والثقافات الأجنبية[1]، وهي قضية كما يقول طه حسين لم يخل عصر أدبي منها، فمهما تختلف العصور التي تنشأ فيها والظروف التي تحيط بها، تبق الحياة مصدرها ولا منصرف عنها لأنها الحياة[2]، وهي قضية ملازمة لكل أمة حية تسير بسير الزمن، وتتطور بتغير الحياة، وبما أنّ هناك تطورًا فهناك تجديد وتغيّر، وصراع بين الثابت والمتغيّر.

ومنشأ هذه القضية يعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حين شهدت البلاد العربية إثر نهضتها حركة أدبية عملت على إحياء التراث العربي بعد فترة من الركود الأدبي والعلمي؛ الناتج عن إهمال الحكم التركي للبلاد والثقافة العربية، وكانت حركة الإحياء هذه تستمد مصادرها وثقافتها من أمّات الكتب العربية في العصور الذهبية، وسار أصحاب هذه الحركة الإحيائية في أساليبهم وأدبهم ولغتهم مسيرة علماء وأدباء اللغة الأوائل في عهد الفتوّة والازدهار، فعُرفوا بعد ذلك بأنصار المذهب القديم، وقد بيّن الرّافعي، أحد أعلام هذا الاتجاه، نظرتهم ومقصدهم، وهي أن تكون "اللغة لا تزال لغة العرب في أصولها وفروعها، وأن تكون هذه الأسفار القديمة التي تحويها لا تزال حية تنزل من كل زمن منزلة أمة من العرب الفصحاء، وأن يكون الدين

---

(1) يُنظر: الكتاني، محمد: **الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث**، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982م، 551/2

(2) يُنظر: حسين، طه: **حديث الأربعاء**، ط14، دار المعارف، القاهرة، 1993م، 3/2

العربي لا يزال هو هو كأنما نزل به الوحي أمس، لا يفتننا فيه علم ولا رأي، وأن يأتي الحرص على اللغة من جهة الحرص على الدّين، إذ لا يزال منهما شيء قائم كالأساس والبناء لا منفعة فيهما معًا إلا بقيامهما معًا"[1]، وبهذه النظرة المقدسة للّغة نظر جميع أنصار القديم.

غير أنه من الضرورة بمكان القول أن صفة القديم التي وصف بها دعاة هذا الاتجاه لم تأت منهم، وإنما أطلقها عليهم من وقف مقابلهم ودعا إلى نبذ التقليد وفتح الاجتهاد ومواكبة الحضارة العصرية، وهؤلاء الذين عُرفوا بالمجددين الذين تأثروا بالحضارة الغربية، وكان بذلك معظم أنصار الجديد هم ممن بُعثوا إلى أوروبا وعادوا متوقدين حماسًا لإيصال بلادهم إلى ركب الحضارة والمدنية التي تعيشها البلاد الأوروبية. ولعل سلامة موسى يوضح مقصد مذهب الجديد في دعوته أن يكون هناك أسلوب عصري في التعبير لا يمت إلى الجاحظ وأمثاله القدماء بصلة، وأن يتم الأخذ بالأوزان والقيم الأوروبية في النقد الأدبي، وأن يتصل الأدب بالمجتمع ويعالج شؤونه[2].

ومع الاختلاف بين أنصار القديم وأنصار الجديد وقعت معركة أدبية بين الفريقين، كان رحاها الصحف والمجلات العربية، وقد علّق طه حسين على هذه الخصومة الأدبية قائلًا: "يخطئ من يظن أنّ هذه الخصومة ستنتهي غدًا أو بعد غد، ويخطئ من يسأل عن نفسه قيمة هذه الخصومة وعن آثارها الحسنة أو السيئة، فستستمر هذه الخصومة في الأدب العربي كما استمرت في الآداب الأخرى، وكما استمرت في الأدب العربي القديم نفسه"[3].

ولم يقف النشاشيبي والحسيني بعيدًا عن ذلك، إذ اتجه كل منهما إلى وجهته، فكان النشاشيبي من أنصار القديم ودعاته، وقد سخّر نفسه للدفاع عن العربية الأصيلة التي نطق بها العرب الفصحاء وكتب فيها الجاحظ والمبرّد والمتنبي، وفي مقابله وقف الحسيني في مسلك الجديد يدعو إلى التجديد والسّعي إلى اللغة العصرية والبلاغة المدنية ومواكبة الحضارة الأوروبية، ويمكن أن نجمل الاختلافات فيما بينهما بما يأتي في ضوء الأصالة والمعاصرة:

---

(1) الرافعي، مصطفى صادق: **تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد**، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م،ص11

(2) يُنظر: موسى، سلامة: **تربية سلامة موسى**، سلامة موسى للنشر والتوزيع، القاهرة، 1957م، ص179

(3) حسين، طه: **حديث الأربعاء**، 253/2

أولًا: الاختلاف في الأسلوب.

كانت معركة الأسلوب من أبرز المعارك الأدبية بين المجددين والمحافظين، وقد شغلت هذه قضية حيزًا كبيرًا في المحاورات والمناظرات بين أنصار الفريقين. وأول صراع حول الأسلوب بدأ في مهاجمة الأسلوب البياني عند مصطفى الرافعي بعد أن تزعم مدرسة الإنشاء على منوال المتقدمين فشابههم في جزالة ألفاظهم وقوتها، فهاجمه المجددون وأنكروا عليه تكلفه في أسلوبه الذي لا يلائم العصر الذي تعيشه الأمة، ومن الردود على أسلوب القديم ما قاله سلامة موسى "نحن منكوبون حقًا بالأدب السخيف، أدب الألفاظ واللعب واللهو ودرس السّلف، كأننا أمة بدوية تعيش في وسط الصحراء ولا تتصل بالحضارة الحديثة ولا يهمها إلا قصة رويت قبل ألف سنة أو بيت شعر هو نكتة من نكات المغفلين"[1].

ولم يقف المحافظون أمام هجمة المجددين، بل دافعوا عن آرائهم وأساليبهم، فقال الرافعي في أسلوب هؤلاء المجددين أنّه إذا كانت الفصاحة والحرص على ميراث التاريخ مذهبًا قديمًا، وإذا كان القانون الطبيعي للفضيلة الاجتماعية وولادتنا بجلودٍ كجلود آبائنا كذلك، فالركاكة وإهمال القومية التاريخية، والتّحلل من قيود الواجبات، والانسلاخ من الجلد لأنها ليست أوروبية كل هذا جديد[2] وبذلك اشتد الاختلاف والخلاف بينهما، وكثرت الردود في المجلات والصحف في البلاد العربية، وكانت الساحة الأدبية المصرية الأوفر حظًا في توثيق تلك المناظرات الأدبية حول الأسلوب.

وفي ذلك الأسلوب اللغوي الذي سار عليه أنصار القديم كان يؤمن إسعاف النشاشيبي، فقد عاشر كتب القدماء دهره ما رضي عنهم بديلا، فأولع بلغتهم وأسلوبهم حتى غدا أسلوبه كأسلوبهم، وصيّرته لغته الجزلة الفصحى إلى رجل من أساطين العربية الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى، والذين خلت لغتهم من الضعف والسقم والوهن، وقد وصفت جريدة السياسة أسلوبه فقالت: "لقد أعادنا الأستاذ إلى عصر الجاهلية أو صدر الإسلام حين كان المعنى الضخم يبرز في اللفظ

(1) موسى، سلامة: **الأدب والحياة**، دار النشر المصرية، القاهرة، 1956م، ص125

(2) يُنظر: الرافعي، مصطفى صادق: **تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد**، ص11

المتين الضخم، وحين كان الكلام يصدر عن القلب، فيقع في أعماق القلوب في مستقر ثابت مكين، حين لم تكن صناعة مجلوبة ولا حلية مغصوبة ولا ركاكة ولا عوج"[1].

ودعا النشاشيبي إلى أسلوب جزل متين، ذلك الأسلوب الذي كان في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وأخذ يدافع عن أسلوبه هذا ويرشد إليه، ووقف في وجه من أساؤوا إليه، فشن هجومًا عنيفا على دعاة التجديد الذين دعوا إلى أسلوب سهل بسيط يُخرج اللغة من التّكلف والتعقيد، وقال: "ما نبذنا الجديد لجدّته، لكن لفقدان جودته فاغد علينا بالجديد الجيّد نتقبّله، ولن تجد هذا إلا في معادن القرآن الكريم، فابحث عنه هناك، ابحث هناك وابن عليه"[2]. وهو بهذا لا يرفض الجديد لجدّته وإنما يريد أسلوبًا متينًا رصينًا في هذا الجديد، يناهز المتقدمين ويخاطر المقرَمين، لا تشوبه شائبة ولا تنوبه نائبة.

لقد برز أسلوب النّشاشيبي في كتبه، وكانت خطبته كلمة في العربية أكبر مثال على أسلوبه الذي حضّ عليه، وقد لاقى أسلوبه هجومًا من دعاة التجديد فاتهموه بتقليد القدماء والتّكلف وغرابة اللفظ وحوشيّه، غير أنّ إسعافًا أنكر هذه التّهم وبيّن أن أسلوبه هو أسلوب عربي ألفه وعرفه فلم يقلد أحدًا وإنما لغته التي فهمها وآمن بها.

إنّ إسعافًا لم يكن مقلدًا، ولكن لا يمكن إنكار الشّدة والقوة في أسلوبه، فكان أسلوبه أسلوب القدماء بغير تكلّف منه؛ وإنما لطبعه الذي طبع عليه، وإقراره لقول جريدة السياسة في كلمته العربية هو دليل على أنه موقن أن أسلوبه ثقيل على عصره وعلى دعاة التجديد، وقد ظنّ إسعاف أنّ أسلوبه لاقى استحسانًا عند طه حسين وعباس العقاد، وذهبوا مذهبه في رفض الأسلوب الجديد، فقال: "قال لي طه حسين يوم علم مقالتي إنّا متفقان، أجل إنّا متفقان، وما اتفقنا على ضلال، وما انتحلنا في اللغة إلا دين الجمال والكمال ومن يستحب القبح والنقص على هذين"[3]، غير أن إسعافًا لم يكن مصيبًا في ذلك فطه حسين والعقاد من أشد المجددين هجومًا على الأسلوب القديم، ومن أبرز دعاة التجديد في الدعوة إلى أسلوب العصر الذي ينبذ أسلوب العرب القدماء الجاهليين، وبذلك قال

(1) النشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في العربية**، ص97

(2) النشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في العربية**: ص95

(3) **نفسه**، ص95

طه حسين: "إنّ هذا الأسلوب الذي ربما راق أهل القرن الخامس والسادس للهجرة لا يستطيع أن يروقنا في هذا العصر الحديث الذي تغيّر فيه الذّوق الأدبي"[1]. وقد أثبت الحسيني في مذكراته التي خطّها في مجلة الفجر الأدبي عدم استحسان العقاد وطه حسين لإسعاف النشاشيبي، بل وبغضهما له، إذ أخذا يذمانه ويتهجمان عليه إن ذكر في مجالسهما[2].

والحق أن النشاشيبي كان محافظًا يريد أن يُكتَب بأسلوب رجال العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وأن يُكثِر الكاتب من استعمال المحسنات اللفظية، وكان ينتقي الألفاظ الثقيلة الجزلة والعبارة القصيرة المتقطعة، ولا يأنس بالسهل من التعابير، فكانت بذلك هوامش كتبه أكثر من متونها؛ لحاجته لشرح الألفاظ الغامضة على قرّاء عصره.

أمّا أسلوب الحسيني فيختلف اختلافًا كليًا عن النشاشيبي[3]، لقد جنح الحسيني نحو مذهب التجديد في الأسلوب، فابتعد بذلك عن دعوة المحافظين وأسلوبهم، وقد تأثر بطه حسين والعقاد فكان أسلوبه يشابه أسلوبهم ودعوته كدعوتهم، ورفض التّكلف في اللفظ والاستعارات والمترادفات فلم يعر اهتمامًا بالأمور الجانبية السطحية في النص من صنعة لفظية أو تزويق الجمل بألفاظ غريبة وحشية لا ترجى فائدة من تكلّفها، فيقول: "إنّ الكاتب الذي يتّكئ على ذخيرته اللفظية ويجعلها قوام كتابته، ويترك الألفاظ تملي عليه ما يريد فتجر اللفظة اللفظة، والسجعة السجعة، والعبارة العبارة، وهكذا حتى تصبح الجمل سطورًا من الحشائش المصففة لا حياة فيها ولا طائل تحتها"[4]، والحسيني بذلك يهاجم أنصار القديم حتى وإن ابتعدوا عن التقليد وهذا ما فعله النشاشيبي فالحسيني يرفض حتى الاعتماد على الثقافة اللغوية، والقوة اللفظية الممتلكة غير المقلّدة في الكتابة ذلك نراه ينقد النشاشيبي ويرى فيه أنه غالى غلوًا شديدًا، ويتسم الحسيني بالأسلوب الطبيعي الذي يميل نحو

---

(1) حسين، طه: **حديث الأربعاء**، 7/3

(2) قال طه حسين مرة لإسحاق: لقد قال إسعاف في المصريين كذا وكذا.. – وهي عبارة في غاية القبح – فردّ إسحاق عليه قائلًا: إن إسعافا أحب مصر وأهدى إليها كتابه (كلمة في العربية) ذاكرًا أنّها تصدر المدنية وموئل العربية.. وأظن أن العبارة مدسوسة عليه. فردّ طه حسين: أنا سمعت هذه العبارة منه. **(ينظر: الحسيني، إسحاق موسى: من ذكريات العمر– الحلقة الرابعة، مجلة الفجر الأدبي، عدد29، السنة الثالثة، حزيران 1983م، ص18)**.

(3) يُنظر في الفصل الثاني من هذا البحث في أسلوب إسحاق الحسيني ص62

(4) الحسيني، إسحاق موسى: **هل الأدباء بشر**، ص16

بساطة اللفظ وسهولته وقد يلجأ إلى استخدام ألفاظ أعجمية في كتاباته؛ ويَرجعُ ذلك إلى تأثره بعلماء المشرقيات، ويُلحظ تجنبه الاطالة والتكرار واستخدام المحسنات البديعية من سجع وترادف وجزالة لفظية، وكان تركيزه على المعنى والمضمون ففهم القارئ لما يكتبه هو الغاية لا قوة الألفاظ واللغة؛ لأنها الوسيلة لإيصال المعنى لا الغاية

وبين أسلوب النشاشيبي وأسلوب الحسيني نطرح سؤالًا يكشف لنا موقف الرّجلين بعضهما من بعض، فما موقف النشاشيبي من الحسيني في أسلوبه، وما موقف الحسيني من النشاشيبي كذلك؟.

لقد أبدى الحسيني موقفه من النشاشيبي حين رأى فيه الغلو الشديد ضد كل جديد و التّشدد المجاوز للحد، فهو رافض لأسلوب أستاذه رفضًا مطلقًا في أن يكون هذا الأسلوب هو أسلوب كتابة موجه لقرّاء هذا العصر[1]. لكن ما موقف النشاشيبي؟، الحق أنّه لم يطّلع على آراء الحسيني، فقد وافته المنية قبل ذلك، غير أنّ النشاشيبي بحكم رفضه لمذهب المجددين يرفض ما يذهب إليه تلميذه، ويرى فيه السخف والركاكة والانسياق خلف الألفاظ الأعجمية، كأن العربية عجزت عن التعبير، وهذا رأيه بأولئك المجددين الذين وقفوا في وجه المحافظين.

ثانيًا: الاختلاف في اللفظ والمعنى.

لم تنفصل قضية اللفظ والمعنى عن الأسلوب في الخلاف والاختلاف بين المحافظين والمجددين، بل كانت جزءًا من الصّراع حول الأسلوب اللغوي في الكتابة، وقد ذهب المحافظون بضرورة العناية باللفظ، فركّزوا على اللفظ القوي المتين كما ذهبوا في أسلوبهم، أمّا المجددون فقد أهملوا اللفظ ؛ لأن اللفظ وسيلة للوصول إلى مبتغاهم، واللغة ليست غير وسيلة لإيصال المعاني والأفكار، لذلك اهتموا بالمعنى ونقله إلى القارئ بلفظ بسيط سهل خال من الثقل والقوة، ولعل أوّل من أثار هذه القضية سلامة موسى حين كتب في مجلة الهلال مقالًا عنوانه (أدب الفقاقيع) شن فيه هجومًا على أدب مصطفى الرافعي لتكلفه في اللفظ وإهماله للموضوع والمضمون (المعنى) الذي يسعى لنقله للقارئ، وقال فيه: "أدباء الصنعة يكتبون وكل همهم محصور في تأليف استعارة خلابة أو مجاز جميل أو كتابة بارعة أو غير ذلك من الفقاقيع، فإذا أراد أحدهم أن يؤلف كتابا أو يضع

(1) لم يصرّح الحسيني كثيرًا في رفضه لأسلوب النشاشيبي وإنما تظهر شذرات تبيّن رفضه لذلك الأسلوب، ونرجع ذلك في أنّ النشاشيبي كان المعلم الأول لإسحاق وقد عُرف عن إسحاق إجلاله لأساتذته عامة والنشاشيبي خاصة .

مقالة لم يعن أقل عناية بالموضوع الذي يكتب فيه، وإنما يعمد إلى الفقاقيع فيؤلف منها عبارات خلابة فيتوبل بها إنشاءه، أو يرصها رصًا، وكثيرا ما يعجز أمثاله عن تأليف عبارة من إنشائهم الخاص"[1]، وإلى هذا ذهب خليل السكاكيني في هجومه على شكيب أرسلان فقال: "نحن في عصر المعنى فيه الأول واللفظ المحل الثاني، وبعبارة أخرى إذا لم يرتكز الأدب فيه على العلم فلا قيمة له"[2].

وإلى صف المجددين وقف الحسيني مختلفًا عن النشاشيبي الذي أولى اللفظ أهمية كبيرة، وإذا قارنّا بينهما نجد الاختلاف واضحًا فيكشف لنا مدى ارتباط النشاشيبي بالمحافظين واتصال الحسيني بالمجددين، مخالفين بذلك بعض الكتّاب الذين ذهبوا في أن الحسيني وقف موقفاً وسطاً بين المحافظين والمجددين، فالحسيني يؤمن أنّ الغاية من اللفظ إيصال المعنى فاللفظ بذاته وسيلة لنقل معنى النص ومضمونه، والكاتب الناجح برأيه هو الذي يعبّر عن معناه بأسلوب بسيط سهل خال من ثقل اللفظ وقوته، وهذا مذهب المجددين مذهب سلامة موسى وطه حسين والعقاد والسكاكيني.

بينما الحسيني كذلك، نرى النشاشيبي يشن هجومًا على هؤلاء الذين يسقطون أهمية اللفظ من قواميسهم ويدّعون أنّ اللفظ وسيلة ليس غير فيقول: " وأما قولهم: إنّ المعوّل عليه هو المعنى لا اللفظ، وإن أمر الثاني ليس بذي بال، فهو قول أملاه الخبث والعجز والجهل، ولا أدري أي المعاني يغزون، أهي المعاني التي يعرفها العطار والبيطار والتي هي ملقاة على الطّرق، وهذه إن لم تلتجئ إلى قول سَريّ يقي ابتذالها فُضّل الأبكم على قائلها"[3]، ويكفي عرض هذا القول للنشاشيبي للقول إنّ هذا هو ردّ النشاشيبي على الحسيني في مذهبه الذي ذهب إليه.

ثالثًا: في الحرف العربي (الكتابة العربية).

تعدّ مشكلة الحرف العربي والكتابة العربية من القضايا المهمة التي اختلف المحافظون والمجددون فيها، فيما دعا المجددون لإصلاح الكتابة العربية بحجة الصعوبة التي تلازمها وقف

(1) الجندي، أنور: **المعارك الأدبية**، ص 205

(2) السكاكيني، خليل: **مطالعات في اللغة والأدب**، ص99

(3) النّشاشيبي، محمد إسعاف: **كلمة في العربية**، ص49

المحافظون في وجه هذه الدّعوة؛ لأنها بنظرهم تدمير لثقافة عربية وانسلاخ من حضارة بلغ عمرها أكثر من أربعة عشر قرنًا، والشكوى من الكتابة ترجع بدورها إلى بعض المستشرقين الأجانب الذين زعموا أنّ ضعف البلاد العربية يرجع إلى صعوبة فهمهم للحرف العربي والكتابة فيه.

وخلْفَ هؤلاء المستشرقين سار المجددون في دعوتهم لإصلاح الحرف العربي، ولم يذهب المجددون في رأي واحد في هذا الإصلاح بل اختلفوا بينهم في طرق الإصلاح، غير أنّهم أجمعوا على مشكلة الكتابة وضرورة إصلاحها، ولعل عبد العزيز فهمي من أبرز العرب الذين تناولوا مشكلة الكتابة العربية ودعا إلى إصلاحها فقال: "إنّ لهذه اللغة الجميلة آفة خبيثة هي رسم كتابتها، إنّ هذا الرّسم، على ما في مظهره الآن من جمال، لهو علة العلل، وأسّ الدّاء ورأس البلاء، إنّه سرطان أزمن فشوه منظر العربيّة وغشّى جمالها ونفّر منها الوليّ القريب والخاطب الغريب"[1]، وكانت دعوته تقوم على استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي، وقد لاقت دعوته هذه رفضًا من جلّ دعاة التجديد قبل المحافظين.

وقد قدّم علي الجارم اقتراحًا لإصلاح الكتابة العربية لمؤتمر مجمع فؤاد الأول للّغة العربية سنة 1944، حافظ فيه على الحرف العربي ولكن مع إجراء تعديلات في كتابته تتمثّل بإضافة مزيدات عليه، وكان هدفه من ذلك أن يؤدي كل حرف صورته الصوتية صادقة[2]، غير أنّ هذه الطرق رُفضت من المحافظين والمجددين، وقد علّق عباس العقاد، وهو أحد أعلام مدرسة التجديد، على اقتراح فهمي والجارم قائلًا: "أعتقد أنّ المسوّغ الوحيد للعدول عن طريقة الرّسم المتّبعة الآن هو إيجاد طريقة تمنع خطأ القراءة والكتابة معًا، ولو نظرنا إلى طريقتي معالي عبد العزيز فهمي باشا وعلي الجارم بك لوجدنا أن كلتا الطريقتين لم تمنع هذا الخطأ، بل إن ما تصنعه هذه أو تلك هو أن تحيل تبعة الخطأ من القارئ إلى الكاتب، وعندئذ لا يمتنع الخطأ بل يزداد ويكثر"[3].

---

(1) باشا، عبد العزيز فهمي: **الحروف اللاتينية لكتابة العربية**، دار العرب، القاهرة، 1993م، ص7

(2) ينظر اقتراح علي الجارم والردود عليه في كتاب **(تيسير الكتابة العربية)** الذي نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعة القاهرة 1946م، ص81-115

(3) مجمع اللغة العربية القاهري: **تيسير الكتابة العربية**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1946م، ص111

وبين رفض المحافظين لإصلاح الكتابة وحروفها جملة وتفصيلًا وبين سعي المجددين لإصلاحها وقف النشاشيبي والحسيني مختلفيْن في نظرتهما لهذه القضية، فالنشاشيبي المحافظ المقدّس للعربية كما وصلت من الجاهلية وصدر الإسلام يرفض مطلقًا أي تغيير بالحروف أو الكتابة العربية، بل يرى أنها أصلح وأسهل حروف العالم، بل منها صدرت حروف اللغات الأخرى فحروف اللاتينية بنظره هي الحروف العربية قبل إصلاحها، أمّا الحروف الإنجليزية فنتجت من الحروف اللاتينية ومصيبتها بذلك أكبر، ويدلل النشاشيبي على ذلك شكوى (برنارد شو) من حروف الإنجليزية وطلبه الشديد للعدول عن الحروف الإنجليزية، ويقارن النشاشيبي بين العربية وغيرها من اللغات ليثبت أن المشكلة الكبرى هي في حروف اللغات الأخرى التي تحتاج لحرفين لبلوغ صوت واحد بينما العربية فيها لكل صوت حرف واحد، فلم نر النشاشيبي يدعو دعوة المجددين بإصلاح الحروف العربية والكتابة بل رأيناه يدعو الأعاجم للكتابة بالحروف العربية وهذه دعوة نادرة في عصره إذ لم يُعرف عن أحد دعا الأعاجم بنبذ حروفهم والنجاة بالحروف العربية، وما دعوة النشاشيبي هذه إلا أصالة للغته ومعرفته لها حق المعرفة وبهذا يقول: "ما أشقى أولئك الإنكليز المساكين بحروف تهجيهم. إن بلايا الإنكليز في حرف لغتهم لكثيرة، مساكين أيها الإنكليز، اتركوا الحروف اللاتينية أو اللاطينية - كما يقول الأقدمون وابن خلدون - وخذوا الحروف العربية كما فعل الأسبان في وقت من الأوقات. إنهم (خطوا لسانهم الأسباني بالحرف العربي) وما كانوا مخطئين، ولولا سلطان الدين أو الكنيسة، لولا القسيسون والرهبان ما انفكوا يكتبون به حتى يوم الناس هذا"[1].

وبخلاف النشاشيبي يقف الحسيني في صف المجددين ويدعو إلى إصلاح الحروف العربية، فيرى أنّ هناك مشكلة في الكتابة العربية وعلى العرب إصلاحها، فيقول: "أليس من الأولى أن نصلح الحروف العربية نفسها على نحو لا يطمس معالم اللغة العربية"[2]، والسؤال المشروع

(1) النشاشيبي، محمد إسعاف: **برانردشو والحروف اللاتينية، مجلة الرسالة**، القاهرة، عدد 562، مجلد12، 10-4-1944م، ص14

(2) الحسيني، إسحاق موسى: **أزمة الفكر العربي**، ص99

في هذا الاختلاف بين النشاشيبي والحسيني هو، هل لو أدرك النشاشيبي تلميذه الحسيني لقال فيه إن هذا الاقتراح من بنات ليل المرء في وقت المرض وإن هذه الوعوعة لباطلة متلاشية؟؟[1].

رابعًا: في تيسير النحو.

بلغت قضية تيسير النحو مبلغًا كبيرًا في الكتابة والتأليف بين الكتّاب واللغويين قديمًا وحديثًا، واختلفوا فيما بينهم في طريقة تيسيره بين رافض لتغيير شيء في النحو، وداعٍ لتبسيطه وتخليصه من التعقيدات والآراء الفلسفية فيه، ومطالبٍ بإلغائه وحذفه.

وبين هذه الآراء اختلف القدماء والمحدثون، والمحافظون والمجددون، وانقسموا إلى فريقين: فريق يرى أنّ النحو العربي لا عيب فيه ولا صعوبة تعتريه، وإنما العيب في طريقة تدريسه وتبويبه وفي طريقة تعليم اللغة العربية، فحرص أصحاب هذا الفريق على عدم المساس بجوهر النحو وإنما وضعوا طرقًا في تدريسه[2]. وهذا ما ذهب إليه المحافظون الذين تمسكوا بتراث اللغة العربية وحفظوا ما وصل إليهم من القدماء.

أما الفريق الآخر، فذهب إلى وجود مشكلة في النحو العربي، وجب حلّها بتيسيره وتعديله، وهذا كان مذهب معظم المجددين في العصر الحديث، وكثرت الاقتراحات في هذا الجانب من جهات فردية وجهات رسمية، غير أنّ هذه الاقتراحات لم تنه المعضلة وتزيلها.

وبين هذين الفريقين وقع اتفاق واختلاف بين النشاشيبي والحسيني، وفي هذا الجانب سيكشف الباحث الاختلاف بينهما في النظرة إلى قضية التيسير على أن نتبع الاتفاق في الجزء الثاني من هذا الفصل.

لقد كان النشاشيبي من أولئك الذين رأوا في النحو الكمال والجمال مقارنة مع نحو اللغات الأخرى وذهب إلي أن المشكلة ليست في النحو وإنما في المعلم والكتاب، فطريقة التدريس وطريقة

---

(1) ينظر: النشاشيبي، محمد إسعاف: **برنارد شو والحروف اللاتينية، *مجلة الرسالة*،** القاهرة، عدد562، مجلد12، ص13

(2) يُنظر: نفوسة، زكريا: **تاريخ الدعوة العامية في مصر**، ص195

تبويب الكتاب هما من تسهلان أو تعقّدان من النحو وليس النحو ذاته، ولذلك وصف اقتراح تيسير النحو بأنه فتنة وشر يقفوه شر.

أمّا الحسيني فوافق أستاذه أن جزءًا من المشكلة يكمن في المعلم والكتاب، ولكنّه اختلف عن أستاذه برؤيته أنّ النحو يحمل كثيرًا من التعقيد فآمن بضرورة تيسيره وسلك مسلك التجديد، وأخذ يدعو إلى تيسيره؛ لأن النحو بنظره وسيلة لتجنب الخطأ في الكتابة والنطق وليس غاية يدركها دارس اللغة، وبهذا تسقط فكرة تقديس القديم عند الحسيني هذه الفكرة التي لازمت النشاشيبي، فخالفه ورأى أن هناك مشكلة ظاهرة وصعوبة بادية في النحو العربي، ففي قواعده تشويش وتعقيد لا يستسيغه العقل، لذلك دعا إلى إسقاط ما في النحو - كما يرى- من تعبيرات غامضة جافة وأساليب معقّدة مغرقة في السّخف والتي هي أثر من آثار النحاة في القرون الأولى.

إنّ هذا الاختلاف يمكن إرجاعه إلى طريقة اكتساب الرجلين لعلومهما، فالنشاشيبي الذي اكتسب علمه من قراءته الذاتية لكتب القدماء سيكون أكثر ارتباط بنتاجهم اللغوي من الحسيني الذي تتلمذ على يد المستشرقين الغربيين.

خامسًا: في المنهج التعليمي.

ترك الاختلاف المنهجي اللغوي بين النشاشيبي والحسيني أثرًا جليًّا عندهما في توجيه المنهج التعليمي، ففيما تأثر النشاشيبي بالقدماء في طريقة التعليم عنده، كان الحسيني يسير في مسار علماء المشرقيات في التعليم بحكم دراسته في لندن، فاستقى من المستشرقين أساليبهم وطرقم في التعليم.

لقد وضع الحسيني مؤلفاته في الحقل التعليمي متّكئًا على منهجه وفكره اللغوي، فلم ينفصل منهجه اللغوي عن طريقته في التأليف في هذا الجانب، بل كان منهجه اللغوي واضحًا وبارزًا في ذلك فالحسيني كان من أولئك الذين اتّسموا بالتجديد في اللغة ودعوا إلى تيسيرها وتسهيل علومها على دارسيها وهو من المجددين الذين ابتعدوا عن منهجيّة القدماء والمحافظين في عرضهم للّغة،

وقد أفاد في هذا الجانب من أساتذته علماء المشرقيات وأساتذته العرب أصحاب المنهج التجديدي ومن أبرزهم خليل السكاكيني.

تناول الحسيني في طريقة تعليمه اللغة العربية الفروع المختلفة بطريقة تناسب الطّلاب و اختلاف مستوياتهم العمرية، ففي تناوله لقواعد اللغة وعلم العروض يسير منهج التيسير والتسهيل، وعند عرضه لعلم العروض يرى أنه يحسن تسمية هذا العلم بالموسيقى الشعرية؛ حتى لا يُفهم من العروض ذلك العلم الواسع الذي يذهب إليه العروضيون[1]، وبهذا فهو يذهب مذهب التيسير الذي اتّبعه في قواعد اللغة، وهذا منهج المجددين في اللغة والحسيني ممن كان يسير في هذا المنهج، وقد أثبت ذلك في كتابه الذي أسماه (العروض السّهل) فاسم كتابه الذي اشترك معه في وضعه فايز الغول يوحي بمنهجه وفكره الذي يدعو إليه، إنه منهج التيسير والتسهيل والبعد عن التعقيد الذي سار فيه علماء اللغة القدامى، فجاء في مقدمة الكتاب "لقد بذلنا الجدّ كلّه في أن يعود هذا الموضوع الصّعب إلى ما ينبغي أن يكون عليه من السّهولة واليسر، بتجريد المصطلحات والتّفصيلات التي كانت أكبر علّة في استعصائه على الطّالبين"[2].

وفي تدريسه للنصوص الأدبية يظهر تأثره واعتماده على منهج الغربيين في أساليبهم التي يعتمدونها، فيقول: "هذا هو الأسلوب الذي ينهجه أساتذة اللغة من علماء المشرقيات حين يدرّسون النّصوص"[3].

وهذا المنهج يخالف فيه النشاشيبي الذي كان أسلوبه في التّعليم مشابه لمنهجه الفكري واللغوي، فمنهجه الذي لا يستسيغ شرابًا أدبيًا أو أسلوبًا لغويًا غير أساليب العرب الأقحاح هو أسلوبه التعليمي الذي يذهب إليه.

أمّا طريقته في التّعليم فيمكن إثباتها من خلال كتبه التي وجهها لطلاب المدارس، إذ إنّ كتابيه مجموعة النشاشيبي والبستان يوضحان المنهج الذي يطبقه في تعليمه، فنراه يجمع في كتابيه

---

(1) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **أساليب تدريس اللغة العربيّة**، ص35

(2) الحسيني، إسحاق موسى وفايز الغول: **العروض السّهل**، ط10، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1960م، 3/1

(3) الحسيني، إسحاق موسى: **رأي في تدريس اللغة العربيّة**، ص10

أقوالًا من التراث العربي القديم ويمليها على الطلاب حتى يعقلوها ويفهموها، ولم يقصر أقواله على كتاب واحد من كتب القدماء إنما جمعها من كتب شتى في الشعر والنثر مضيفًا لها كلام الله المعجز، ويوجه هذه الأقوال لجميع الصفوف التعليمية من الابتدائية حتى الثانوية، ويقول مخاطبًا الطلاب: "اعلم يا فتى أنّ المتقدمين هم الأعلون وهم المتقدمون وهم المجلّون في حلبة العلم العربي والأدب وهم السّبّاقون، وإنّما دأبنا في هذا الزمان أن نستهديهم وهم هداة الحائر فيهدون ونأتم بهم وهم الأيمة فيرشدون ونسألهم من فضلهم وهم الكرام البحور فيحسبون ونجدوهم والجود من شناشنهم فيجودون"[1].

ومن خلال هذه النصوص التي يقدمها النشاشيبي، يتناول علوم اللغة فيعقب عليها شروحًا لغوية، ويلجأ في شروحه اللغوية للطلاب إلى كتب علماء اللغة القدامى مدخلًا إلى ذلك شرحًا بيانيًا، ويعتمد في تدريسه القواعد على شواهد من المفصل للزمخشري، فكان رأيه أن يدمن الطالب على القراءة في كتب الأدب القديم حتى يصبح للطالب أسلوب العربي الفصيح[2].

وبهذا يظهر الاختلاف في المنهج التعليمي الأصولي الذي انماز به النشاشيبي، والمنهج المعاصر المتأثر بالأساليب الحديثة الغربية الذي سلكه الحسيني.

وبعد هذا كلّه يمكن الجزم أنّ كلّ اختلاف وقع بينهما هو في حقيقته اختلاف بين المحافظين والمجددين، فهما يسيران في طريقين متناقضين، وما كان ينتهجه النشاشيبي هو ما انتهجه مصطفى صادق الرافعي ولطفي المنفلوطي وشكيب أرسلان وأحمد حسن الزّيّات وأحمد شوقي ومعروف الرّصافي، كلّ هؤلاء والنشاشيبي وغيرهم كثير هم أعلام في المنهج الأصولي المحافظ، ونقول منهجًا؛ لأنهم اختاروا التراث مولجًا لهم لكلّ هذه القضايا التي آمنوا فيها ونافحوا عنها، فتشكّل نهجهم الذي رفضوا المحيد عنه.

وما دعا له الحسيني هي دعوة طه حسين وعباس محمود العقاد وخليل السكاكيني ومحمد كرد علي وسلامة موسى، فالحسيني وهؤلاء وغيرهم ممن دعا إلى التجديد وشكّلوا بفكرهم هذا المنهج المعاصر التجديدي حملوا أثرًا من الثقافة والحضارة الغربية وساروا بها في العالم العربي، ورغم الاختلافات بينهم إلا أنّ ما يجمعهم هو الثورة على المحافظين ومنهجهم وفكرهم.

---

(1) النشاشيبي، محمد إسعاف: **مجموعة النشاشيبي**، ط1، المكتبة السلفية، مصر، 1922م، ص4

(2) يُنظر: الحسيني، إسحاق موسى: **هل الأدباء بشر**، ص40

ثانيًا: الالتقاء بين النشاشيبي والحسيني.

كان عصر النهضة شاهدًا على حركة أدبية ولغوية بين طائفتين من اللغويين والأدباء، وكان أبرز ما ظهر بين هاتين الطائفتين صراع طويل شهدته الصّحف والمجلات العربية، وإن لم يكن بد من أن يحدث بين المحافظين والمجددين هذا الصّراع النّافع والمثير للحركة الأدبية واللغوية العربية، فإنّ هذا الصّراع كلّه لم يمنع من التقاء بين طرفيه، فرغم جنوح المحافظين نحو التراث القديم وحفاظهم عليه، ورغم ميول المجددين نحو ثقافة وحضارة الغربيين، فإنّ هذا لم يكن بمقدوره أن يمنع تقارب أذواقهم تحت مقومات أدبهم ولغتهم، وبهذا صرّح طه حسين أحد أعلام المجددين حين قال: "إنّ العناصر التقليدية في أدبنا إذن قوية شديدة القوة، مستقرة ممعنة في الاستقرار مستمرة على الزّمن، وهي التي ضمنت بقاء الأدب العربي هذه القرون الطّوال، وهي التي ستضمن بقاءه ما شاء الله أن يبقى، ولكن هناك عناصر أخرى توازن هذه العناصر التقليدية، ألا وهي عناصر التجديد، وهذه العناصر التجديدية هي التي منعت الأدب من الجمود، ولاءمت بينه وبين العصور والبيئات، وعصمته من الجدب والعقم والإعدام، ومكّنته من أن يصوّر الأجيال المختلفة التي اتخذته لها لسانًا"[1].

وما ذكرنا هذا إلا تمهيدًا لاستخلاص ظاهرة برزت بين ثنايا ذلك الصّراع الطويل خلال الفترة الزّمنية نفسها، إن هذه الظاهرة التي برزت هي التقاء تيّار القديم وتيّار الجديد، التقاء تكامل حينًا وتناقض حينًا آخر، ولعلّ هذا الالتقاء كان نتيجة لذلك الصراع الطويل الذي نقّح الفريقين ليتقاربوا في نقاط كانت وسطًا بين هذا وذاك أو ركنًا ومقوّمًا لا يمكن المحيد عنه عند الطّرفين.

لقد تمثّلت بوادر الالتقاء الوسط بين المحافظين والمجددين حين شهدت الحركة اللغوية والأدبية مساجلات قويّة بين الرافعي المحافظ وبين طه حسين وسلامة موسى المجددين، فكان هجوم طه حسين وسلامة موسى على الرّافعي وانتقاده في أسلوبه اللغوي دافعًا له على التّحول عن أسلوبه التقليدي إلى أسلوب وسط فيه محاسن الأسلوب القديم مع العناية بالمضمون[2]. أمّا التقاء

---

(1) حسين، طه: **ألوان**، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1958م، ص17

(2) يُنظر: الجندي، أنور: **المعارك الأدبية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983م، ص225

المحافظين والمجددين تحت ظل أركان العربية ومقوماتها فتمثّل حين رفض المجددون دعوة بعضهم في إحلال العامية مكان الفصحى واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وقد لاقت هذه الدّعوات رفضًا كبيرًا من المجددين أنفسهم، فهذا طه حسين يقول في مقاومته الدّعوة إلى العامية: "إني من أشد الناس ازورارًا عن الذين يفكرون في اللغة العامية على أنها تصلح أداة للفهم والتفاهم، ووسيلة إلى تحقيق الأغراض المختلفة لحياتنا العقلية، قاومت ذلك منذ الصّبا ما وسعتني المقاومة، ولعلي أن أكون قد وفقت في هذه المقاومة إلى حد بعيد، وسأقاوم ذلك فيما بقى لي من الحياة ما وسعتني المقاومة؛ لأني لا أستطيع أن أتصور التفريط ولو كان يسيراً في هذا التراث العظيم الذي حفظته لنا اللغة العربية الفصحى، ولأني لا أؤمن قط ولن أستطيع أن أؤمن بأن للّغة العامية من الخصائص والمميزات ما يجعلها خليقة بأن تسمى لغة، وإنما رأيتها وسأراها دائماً لهجة من اللهجات قد أدركها الفساد في كثير من أوضاعها وأشكالها"[1].

فكانت العربية عند المحافظين والمجددين ركنًا أساسًا ثبتوا عنده، ورغم دعوة المجددين للابتعاد عن التقليد وأساليب العرب في القرون الأولى، ورغم دعوتهم لتجديد علوم اللغة، إلا أنّ ذلك كلّه لم يمنعهم من الالتقاء مع المحافظين في ضرورة حماية العربية وتراثها وعلومها.

وبهذا الالتقاء بين أنصار القديم وأنصار الجديد، كان لا بد من ظهور نقاط التقاء بين إسعاف النشاشيبي الإحيائي وبين إسحاق الحسيني التجديدي، وهذا بحكم أنّ عوامل الالتقاء بينهم أكبر من غيرهم، فالحسيني هو تلميذ النشاشيبي الذي علّمه العربية كما كانت في عصرها الذهبي، وهو الذي دفعه للإقبال على تعلّم العربية وحبّها رغم بدايته العلمية الصّحفية، وبذلك فإن الالتقاء بينهما في جانب من القضايا اللغوية لا ينفي انتماء أحدهما إلى منهج مخالف للآخر، وهذا حال المحافظين والمجددين في بعض القضايا اللغوية الطارئة على العربيّة، ومن هنا يمكن القول إنّ الالتقاء بين الرّجلين يظهر في القضايا الآتية:

---

(1) حسين، طه: **مستقبل الثقافة في مصر**، مطبعة المعارف، القاهرة، 1938م، ص314

أوّلًا: في الدّفاع عن العربية.

إنّ كل ما عرف من تجديد في اللغة والأدب وكثرة في الكتّاب والأدباء واللغويين الذين آمنوا بضرورة تجديد اللغة كي تواكب العصر الذي تعيش فيه لم يكن بمقدوره أنّ يبعد أذواقهم وأذواق النّاس عن المقوّم الأكبر الذي يسيرون فيه وهو اللغة، ومهما قيل عن انتشار الجديد واتّساع سلطانه، فقد ظل الدّفاع عن اللغة العربية الصّافية المشرقة والاعتزاز بها والحفاظ عليها من أركان العقيدة اللغوية التي لم يتزحزح عنها أنصار القديم كذلك دعاة الجديد.

لقد عاشت اللغة العربية فترة عصيبة في ظل الحكم التركي الذي لم يعر اللغة العربية أي اهتمام بجعله اللغة التركية هي اللغة الرّسمية[1]، وأيقن العرب إهمال التّرك للغتهم العربية فبذلوا ما بوسعهم للحفاظ على لغتهم، غير أنّ الخطر الأكبر الذي أخذ يلحق العربية بدأ مع وجود الدّول الاستعمارية في البلاد العربية، وقد أدرك كثير من الأدباء واللغويين خطر السياسة الاستعمارية على اللغة العربية، إذ عمل الاستعمار على جعل العربية في هامش الحياة باعتماده لغاته لغات رسمية ولا سيما في فلسطين ولبنان وسورية، وقد تأثر كثير من أبناء العربية بذلك الاستعمار، وفي هذا يقول السكاكيني: "إن فريقًا كبيرًا انسلخوا عنّا، وانتحلوا النّزعات الأجنبية، تدخل بيوت هذا الفريق فلا تسمع إلا اللغة الإنجليزية أو الفرنسية ولا ترى إلا تقليدًا للإنجليز أو الفرنسيين، بل قد بلغت بهم النّزعة الأجنبية أن جعلوا الكتابة على قبور موتاهم باللغة الإنجليزية أو الفرنسية"[2]

وبهذا تنبه الكتّاب إلى هذه الحركة الاستعمارية وأخذوا يدافعون عن لغتهم، ورغم اختلاف المناهج الفكرية الأدبية واللغوية في هذه الفترة الاستعمارية غير أنّ ذلك تلاشى في قضية الدّفاع

---

(1) ينظر: الجندي، أنور: **الفصحى لغة القرآن**، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1982م، ص113

(2) السكاكيني، خليل: **حاشية على تقرير لجنة النظر في تيسير قواعد الصرف والنحو والبلاغة**، ص11

عن العربية، وبهذا التقى الفريقان المتخاصمان، لأن اللغة بكيانها عقيدة لا يمكن إسقاطها أو إهمالها، فهذا النشاشيبي المحافظ والحسيني المجدد يقفان مدافعين عن اللغة العربية.

لقد كان النشاشيبي في طليعة المدافعين عن العربية، فدعا إلى حفظها والتشبث بها ووقف في وجه من أساء إليها ومما كتبه في مجلة النفائس مدافعًا عن العربية قوله: "ليس في لغة العرب من عيب يعيبها به الحاسد، أو مغمز يجد به إلى الطّعن فيها سبيلا الناقد، إلا صدود قومها عنها وهجرهم إيّاها، وإلا غربتها في موطنها، فهي في الأقربين غريبة وإن ذلك إنما يشينهم ولا يشينها، ويضع من مقدارهم ولا يضع من مقدارها، فهي الكريمة بنت الكرام وهم اللؤماء، وهي ذات الحسن وذات الصّنع الحسن، وهم اهل السوأة السؤاء، وإن قبيلا عربيًا جفا عربيته واستحقر لغته، لخليق بأن تمزّق فروته، وتنحت أثلته، فالعربي وغير العربي الذي لا يكرم لغة محمد لا يُكرم، والعربي وغير العربي الذي يستصغر خطر لغة القرآن يُلعن ويُثلب ويُذم"[1].

دافع النشاشيبي عن لغته دفاعًا قويًا ورأى أنها الرّابط بين أجزاء الأمة العربية فهي الأمة وقوة الأمة وضعفها هو ضعف للأمة العربية وتراجع وتفكك لها، وهذا ما رآه الحسيني وسار على درب أستاذه فيه فاللغة عنده روح الأمة التي عليها مدار الحياة، وهي عنده رابط القومية العربية الأقوى فدافع عن لغته وأنكر على من يستعملون في حياتهم كلمات من لغات أجنبية، ونظر إلى العربية نظرة مقدسة كحال أستاذه النشاشيبي الذي لم تكن قداسة العربية عنده أقل من قداسة القرآن فكلاهما صنوان، وفي هذا يمكن القول إن هذه القضية التي اجتمع فيها الحسيني والنشاشيبي هي القضية الأكبر التي اجتمعا فيها ولم ينفصلا عنها، فلم يأل أحدهما جهدا في الدّفاع عن لغته لغة القرآن والتراث العربي.

ثانيًا: في رفض الدّعوة إلى العامية.

التقى معظم أنصار الجديد في نظرتهم للدّعوة إلى العامية مع المحافظين في رفضهم لهذه الدّعوة، وكما رفض طه حسين وغيره كثير من المجددين هذه الدّعوة، رفض الحسيني إحلال العامية مكان الفصحى وفي هذا التقى مع النشاشيبي، فرأى أنّ هذه الدّعوة طريق للقضاء على

(1) النشاشيبي، إسعاف: **سبيكة العسجد في لغة محمد، مجلة النفائس**، السنة الثامنة، مج2، شباط 1921م، ص38

الوحدة العربية ويجب مواجهتها والوقوف أمامها، وانتقد الحسيني الأدباء الذين يستخدمون العامية في كتابتهم رافضًا النزول بلغة الأدب إلى مستوى العامة، وهذا حال النّشاشيبي المعظّم للغته غير أنّ لهجته في رفض العامية كان أشد وأقوى من الحسيني، فالنشاشيبي كان يأنف حتى الحديث بالعامية، فقد كانت لغته الفصحى هي لسانه الذي ينطق به أينما حلّ وارتحل، فرفض هذا الإجرام الممثل بالدعوة إلى العامية ورأى أن الإقدام عليه سيدفع الأمة العربية للثورة عليه، وهذا الذي توقعه النشاشيبي قد حصل، فقد لقي من دعا إلى هذه الدّعوة هجومًا عنيفًا شهدته الحركة الأدبية العربية وسقطت هذه الدّعوة سقوطًا مدوّيًا وماتت في مهدها.

ثالثًا: في رفض استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية.

لم يختلف الحسيني عن النّشاشيبي في موقفه من هذه الدّعوة رغم اختلافه معه في مشكلة الحروف والكتابة العربية، فإسعاف النّشايبي رفض هذه الدّعوة إذ قرنها بأختها العامية فقال: "أمّا اقتراح الكتابة بالحروف اللاتينية فهو كمقترح استعمال تيك العامية - ولكل إقليم عربي عامية بل بلية - والاقتراحان هما من بنات ليل المرء في وقت المرض. والأمم العربية قد أجمعت على أن تكون في هذه الدنيا في الكائنين لا أن تبيد مع البائدين. وإن وعوعة الباطل متلاشية، ودعوة الحق هي الباقية. وكتاب الدهر كتاب العربية يقول: فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"[1].

وكذلك كان الحسيني الذي رأى بطلان الدّعوة إلى اللاتينية وبيّن رفضه لها وآمن أن الدعوة إليها وهجر الحروف العربية مشكلة ما فتئ الدّاعون لإثارتها، ونتاجها إن تحققت ضياع تراث عظيم نتج خلال أربعة عشر قرنًا.

رابعًا: في تيسير النحو.

(1) النّشاشيبي، محمد إسعاف: **براتردشو والحروف اللاتينية، مجلة الرّسالة**، القاهرة، عدد562، مجلد 12، 10-4-1944م، ص13

تشابه الحسيني في جزئية بقضية تيسير النحو مع النشاشيبي، فقد رأى النشاشيبي أن الشكوى من النحو تعود إلى خلل في مناهج التعليم وطريقة التعليم، فرأى أنّ إصلاح المعلّم والمنهاج التعليمي هو الطريق للتّخلص من هذه الشكوى الدّائمة، وفي هذه الجزئية التقى الحسيني مع النشاشيبي فرأى أنّ مشاكل عديدة نتجت عنها الشكوى من النحو ومن هذه المشاكل الأساليب التعليمية في المدارس وبيّن أن هذه المشكلة من الأسباب الكبرى التي أدّت إلى الشكوى، ودلل على ذلك في قدرة الأجانب على إتقان العربية وقواعدها دون صعوبة أو شكوى رغم قصر المدة التي يتعلمون فيها، وهذا عكس الطّلاب في البلاد العربية الذين يقضون سنوات طويلة في تعلّم القواعد، ولكنهم يخرجون من ذلك مضطربين متذمرين، وبهذا دعا الحسيني إلى تيسير النحو من خلال اتّباع أساليب تعليمية تقوم على تبويب المناهج التعليمية بما يتناسب ومرحلة الطّالب العمرية، وبهذا يرى الحسيني أن أحد أركان تيسير النحو يقوم على الجانب التربوي، وإلى هذا رأى النشاشيبي في الشّكوى من النحو العربي.

ومن هنا يمكن القول: إن ما وافق الحسيني فيه النشاشيبي لم يخرج عن الأرضية التي اتّفق فيها معظم المجددين مع المحافظين، وما هذه الأرضية التي اجتمع الفريقان عليها ليست إلا أسسًا لا يمكن تجاوزها عند الفريقين رغم توسيع المحافظين أسس قاعدتهم ومخالفة المجددين لهم في ذلك، فالدفاع عن العربية ورفض العامية واللاتينية هي ما لم يختلف فيه جل أنصار الجديد عن أنصار القديم، فهذا طه حسين والعقاد وهذا الرافعي وشكيب أرسلان، وفي التقاء الحسيني والنشاشيبي في هذه القضايا لا ينفي سير كل منهما في طريق مناقض للآخر، فالنشاشيبي المحافظ على أصالة القديم والحسيني الدّاعي إلى المعاصرة والتجديد.

الخاتمة

وبعد كشف النّقاب، ونزع الحجاب عن البحث اللغوي بين النّشاشيبي والحسيني، نقول: إن هذه الدّراسة خَلُصت إلى هذه النّتائج:

- لقد كانت حياة النّشاشيبي والحسيني العلمية السّبب في توجّههما نحو مدرستين لغويّتين متناقضتين، فتوجه النّشاشيبي نحو مذهب الأصوليين واعتزّ بالقديم وتمسّك به، وذهب الحسيني مذهب المجدّدين المعاصرين وحذا حذوهم في أسلوبهم ومنهجهم اللغوي.
- كان النّشاشيبي أظهر عِلمًا وأعلى أفقًا من الحسيني، فتمكّن وبلغ من العربيّة ما لم يبلغه الحسيني، إذ أحاط بعلوم العربية كافة، من نحو ونقد وأدب وحفظ لتراث العربيّة وغير ذلك مما يتّصل بها، وهذه صفات اللغويين القدماء الذين كانوا موسوعيي المعرفة، وبهذا فإن فضل القدماء على المحدثين في حفظ العربية ونقلها لهم كفضل الشّمس على سائر الكواكب، وهذا حال المحافظين مع المجددين، غير أنّ ذلك لا ينقص قدر الحسيني وأنصار الجديد، فقد جاؤوا ليكملوا ما وصل إليه المحافظون وينهضوا بالعربيّة وعلومها لتنفتح على الحياة العصرية والثّقافات الأجنبية.
- لقد كان النشاشيبي والحسيني من أولئك اللغويين والأدباء الذين برزوا في عصر النّهضة الفكريّة والأدبيّة وأحيوا اللغة العربيّة من سبات وضعف نتج عن إهمال القيادة التركيّة لها، وتراجع بسبب سياسة الاستعمار في محاربتها، فوقف النّشاشيبي مدافعًا عن العربيّة أمام الاستعمار بإحيائه لتراثها وعلومها لتكون ما كانت عليه في القرون الذهبيّة، وبذلك بلغ صيته البلاد العربية فحمل لقب أديب العربيّة، ووقف الحسيني مدافعًا عن لغته ساعيًا لإحيائها من

خلال تجديدها والنّهضة بها من الضّعف الذي لحقها لتساير الثّقافة العصرية والحضارة الغربية فعُرَف بعميد الأدب العربي الفلسطيني.

- نظر النشاشيبي إلى اللغة من منظور داروينى؛ فاللغة بنظره كالكائن الحي ينمو ويتطور ويموت وحال العربية أن تطورت وبلغت المجد في عصورها الذهبية ثم بدأ الضعف بعد ذلك ينخرها وبدأت تتراجع القهقرى، أما الحسيني فنظر إلى اللغة على أنها عادة اجتماعية ونفسية، فهي تؤدي دورًا مهما في اتّفاق الجماعة الاجتماعية ووحدتها، وهي حالة نفسية تشكل أحاسيس ومشاعر الشخص تجاه أمته وعربيته.

- لقد وقف النشاشيبي في وجه دعاة التجديد وما قاموا به من انتقادات لأسلوب المحافظين واتّهامهم بالتكلف وجزالة اللفظ، فهاجمهم وشنّع عليهم ورفض اتّهاماتهم ودعوتهم إلى لغة عصرية التي بمنظوره لغة جرباء معتلّة، أما الحسيني فرفض مذهب النّشاشيبي واتّهمه بالتكلّف والغلو وهاجم التّكلف والغرابة التي سار بها المحافظون، ودعا إلى لغة عصرية اقتصادية تراعي وقت الكاتب والقارئ.

- لم يفصل النشاشيبي بين اللفظ والمعنى بل زاد اهتمامه باللفظ؛ لأن المعاني مطروحة يعرفها البدوي والقروي، والمراد بلوغ شريف اللفظ مع قوة في المعنى، وهذه ما قدّمه في مصنّفاته فكانت لغته رصينة جزلة كثرت حواشيها، أما الحسيني فاهتم بالمعنى ورأى أن اللغة وسيلة لنقل الفكر، فالقارئ لا يهمه اللفظ بقدر اهتمامه بفهم المعنى، وبهذا كانت لغته بسيطة سهلة خالية من جزالة وتكلّف.

- اجتمع النشاشيبي والحسيني في رفض الدّعوات الهدّامة التي حاولت النيل من العربية فكلاهما رفض الدّعوة إلى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية، وهذا ما اتّفق عليه المحافظون وجُلّ المجددين.

- اختلف النشاشيبي والحسيني في جميع القضايا التي اختلف فيها المحافظون والمجددون، فالحسيني يقرُّ بمشكلة الحرف العربي ويدعو إلى إصلاحه والنشاشيبي يرى صلاح الحرف العربي وينعى على الأعاجم لغاتهم ويدعوهم إلى الكتابة بالحرف العربي، وبينما يرى الحسيني

ضرورة تيسير النحو ويقدّم طرقًا تحذف جلّ الإعراب، يرى النشاشيبي أن دعوى التيسير فتنة وشر يقفوه شر.

- اختلف النشاشيبي والحسيني في أسلوبهما التعليمي، فبينما سار النشاشيبي في منهجه طريقة القدماء في التعليم واعتماد كتبهم وعلومهم كما هي دون تعديل أو تحريف، تأثر الحسيني بأساليب بعض المستشرقين ومناهجهم فقدّم كتبه التعليمية وفق منهجه اللغوي الدّاعي إلى التجديد ورفض القديم.

- لقد كان النّشاشيبي أصوليًا ينتهج نهج القدماء في علومهم اللغوية، فنراه يتتبع لغة معاصريه وينقدها نقدًا لغويًّا كحال علماء اللغة الأوائل أمثال ابن فارس والزبيدي، أما الحسيني فقد انتهج نهج المستشرقين والمجددين المعاصرين أمثال العقاد وطه حسين، فاهتم بقضايا لغويّة عصرية، وخالفت دعوته بذلك دعوة النشاشيبي، وبهذا مثّل الرجلان مدرستي الأصالة والمعاصرة في فلسطين أصدق تمثيل، فالنشاشيبي الأصولي والحسيني العصري المجدد.

ولمّا تبيّن هذا - بحمد الله وتوفيقه - أرتجي من الله تعالى قبوله، وأن يضع لما كتبته القبول في أوساط أهل العلم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. أرسلان، شكيب: **مختارات نقدية في اللغة والأدب والتاريخ**، ط1، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1982م.
2. الأفغاني، سعيد: **في أصول النحو**، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دمشق، 1994م.
3. أنيس، إبراهيم: **في اللهجات العربية**، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003م.
4. أنيس، إبراهيم. وآخرون: **المعجم السيط**، ط2، دار الدعوة، القاهرة
5. باشا، عبد العزيز فهمي: **الحروف اللاتينية لكتابة العربية**، دار العرب، القاهرة، 1993م.
6. الجندي، أنور:

- **المعارك الأدبية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983م.
- **الفصحى لغة القرآن**، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1982م.

7. الجزائري، طاهر: **التقريب لأصول التعريب**، المطبعة السلفية، القاهرة، د.ت.
8. ابن جني: **الخصائص**، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة
9. الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
10. حامد، أحمد حسن: **السكاكيني في النهضة الفكرية المعاصرة**، ط2، مكتبة خالد بن الوليد، نابلس، 1997م.
11. حسين، طه:

12. **ألوان**، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1958م.

13. **حديث الأربعاء**، ط14، دار المعارف، القاهرة، 1993م.

14. **مستقبل الثقافة في مصر**، مطبعة المعارف، القاهرة، 1938م.

15. الحسيني، إسحاق موسى:

16. **الأدب والقومية العربية**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1966م.

17. **أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي**، ط1، مركز الأبحاث الإسلامية- مؤسسة دار الطفل العربي، القدس، 1987م.

18. **أزمة الفكر العربي**، دار بيروت، بيروت، 1954م.

19. ***تعريب التعليم العالي الجامعي*- ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل والروح الجامعية**، دار الجليل للنشر والتوزيع، عمان، 1985.

20. **تعلمت من الناس- تجارب من الحياة**، مؤسسة اليرموك للثقافة والإعلام، رام الله، 1987.

21. **خليل السكاكيني الأديب المجدد**، ط1، دار الطفل العربي، القدس، 1989.

22. **خواطر العمر- شعر**، مؤسسة دار الطفل العربي، القدس، 1991م.

23. **رأي في تدريس اللغة العربية**، دار مجلة الكلية العربية للنشر، القدس، 1937م

24. **علماء المشرقيات في إنجلترا**، المطبعة التجارية، القدس، 1940م.

25. **في الأدب العربي الحديث**، إعداد وتقديم محمد إبراهيم حوّر، مكتبة المكتبة، أبوظبي، 1985.

26. **قضايا عربية معاصرة**، دار القدس، بيروت، 1978م.

27. **هل الأدباء بشر**، دار العلم للملايين، بيروت، 1964م.

28. الحسيني، إسحاق موسى وعيسى عطا الله: **الأساس في قواعد اللغة العربيّة**، دار المعارف، مصر، 1954م.

29. الحسيني، إسحاق موسى وفايز الغول: **العروض السّهل**، ط10، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1960م.

30. حمادة، محمد عمر: **موسوعة أعلام فلسطين**، دار الوثائق، دمشق، 2000م.

31. الرافعي، مصطفى صادق: **تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد**، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م.

32. زكريا، نفوسة: **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**، ط1، دار نشر الثقافة، الاسكندرية، 1964م.

33. السكاكيني، خليل:

34. **حاشية على تقرير لجنة النظر في تيسير قواعد الصرف والنحو والبلاغة**، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1938.

35. **كذا أنا يا دنيا**، المطبعة التجارية، القدس، 1955م.

36. **مطالعات في اللغة والأدب**، مدرسة الأيتام الإسلامية، القدس، 1925م.

37. السلوادي، حسن عبد الرحمن: **الدكتور إسحاق موسى الحسيني عميد الأدب العربي بين الوفاء والذكرى**، مركز إحياء التراث العربي، القدس، 1991م.

38. سيبويه: **الكتاب**، ط3، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، 1983م، 4/303-304.

39. شيخو، لويس: **تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين**، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1926م.

40. ابن العبد، طرفة: **ديوان طرفة بن العبد**، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، 1980م.

41. العزّاوي، نعمة رحيم: **النّقد اللغوي بين التحرر والجمود**، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، 1984م.

42. عطار، أحمد عبد الغفور: **دفاع عن الفصحى**، ط1، وزارة الإعلام، مكة المكرمة، 1979م.

43. أبو عليان، ياسر وآخرون: **أبحاث عن أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، عصره، حياته، أدبه وفكره**، ط1، مركز الأبحاث الإسلامية- مؤسسة دار الطفل العربي، القدس، 1987م.

44. عمر، أحمد مختار: **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**، عالم الكتب، القاهرة، 2008م.

45. فندريس، جوزيف: **اللغة**، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م.

46. الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، 2005م.

47. القرطبي، ابن مضاء: **الرّد على النحاة**، تحقيق شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1988م.

48. قنازع، جوزع وآخرون: **مجموعة بحوث عربية مهداة إلى الدكتور إسحاق موسى الحسيني**، مطبعة الشرق العربية، القدس، 1984.

49. الكتاني، محمد: **الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث**، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982م.

50. مجمع اللغة العربية: تيسير الكتابة العربية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1946م

51. مصطفى، إبراهيم: **إحياء النحو**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م.

52. المغربي، عبد القادر مصطفى: **الاشتقاق والتعريب**، مطبعة الهلال، القاهرة، 1908م.

53. ابن منظور: **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت، 1993م.

54. موسى، سلامة:

55. **الأدب والحياة**، دار النشر المصرية، القاهرة، 1956م.

56. **تربية سلامة موسى**، سلامة موسى للنشر والتوزيع، القاهرة، 1957م.

57. النشاشيبي، إسعاف:

58. **العربية وشاعرها الأكبر، واللغة العربية والأستاذ الريحاني، والعربية في المدرسة**، القاهرة، مطبعة المعارف، 1928م.

59. **كلمة في اللغة العربية**، القدس، مطبعة بيت المقدس، 1925م.

60. **نُقل الأديب لأديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي مع مهرجان الغلاييني والعربية المصرية،** تقديم إسحاق موسى الحسيني، ط3، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2001م.

61. **مجموعة النشاشيبي،** ط1، المكتبة السلفية، مصر، 1922م.

62. يعقوب، إيميل بديع: **فقه اللغة العربية وخصائصها،** ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1982م.

الصحف والمجلات:

1. جريدة فلسطين/ يافا.
2. ***مجلة البحوث الإسلامية*** / الرياض.
3. ***مجلة الثقافة*** / القاهرة.
4. ***مجلة جامعة*** القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات/ فلسطين
5. ***مجلة الرسالة*** / القاهرة.
6. ***مجلة الشراع/*** القدس.
7. ***مجلة الفجر الأدبي*** / القدس.
8. ***مجلّة المجمع العلمي العربي*** / دمشق.
9. ***مجلة مجمع اللغة العربية*** /القاهرة.
10. ***مجلة النفائس*** / القدس.

An- Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Linguistic Research between "Mohammed Isaaf An-Nashashibi" and "Ishaq Musa Al-Husseini"

Study in (Originality and Contemporism)

Prepared By

Osaid Jamil Mahmoud Abu-Ridi

Supervised By

Prof: Ahmad Hasan Hamed

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language and Liteature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University- Nablus ,Palestine.

2016

Linguistic Research between "Mohammed Isaaf An-Nashashibi" and "Ishaq Musa Al-Husseini"

Study in (Originality and Contemporism)

Prepared By

Osaid Jamil Mahmoud Abu-Ridi

Supervised By

Prof: Ahmad Hasan Hamed

Abstract

This study used the linguistic method for Mohammed Isaa'f, Nashashibi and Ishaaq Mousa AlHussiane. That was through a comparing study between their lives, their scientific cultures and linguistic researches. Also, what has resulted from their linguistic books. Therefore, the study contained an introduction, preface, three chapters and a conclusion.

The researcher illustrated in the introduction the ancient Arabs interest in the linguistic research, and its development until the modern age. This was in establishing two linguistic schools, one was for the new restoration of heritage, and the other was influenced by the western culture and worked on the renewal of things. The researcher indicated the importance of study, and showed the methods of research, the contents, the most important previous studies, and the difficulties he faced.

The researcher specialized the preface which is entitled (Nashashibi and AlHussiane scientific Life), for their lives since their birth to their death. He indicated the influence of their life on their lingual thinking and on the authenticity and contemporary schools, and he showed their most prominent scientific achievements.

The researcher addressed in the first chapter the lingual research for Nashashibi, and he used the lingual references which directed him to the old school, and his lingual opinions which explained his authentic method. Also, he showed his rejection to the claims of the new school, and then he showed his view and concept about the new and old school. In addition, he showed his point of view to the call for the informal language and the Latin letters, as well as his opinion in using grammar and his lingual criticism to the writers. All of that was in the shade of the lingual authenticity, which Nashashibi believed in.

The research in the second chapter used AlHussiane lingual research, showing his lingual resources, which identified his lingual method that calls for the renewal of things. Moreover, he addressed his language, his linguistic method, which contradicts the conservatives' method, his opinion in the problem of the colloquial and formal language and its causes, as well as his opinion in the call for the Latin writing and his rejection to it. He showed his point of view to abbreviations and Arabization, in addition to discussing the characteristics of the Arabic language according to him, and his lingual opinions in sounds, and grammar. All of that was in the shades of modernity and the call for renewal for AlHussiane.

In the third chapter, the researcher explained the different and mutual points between Nashashibi and AlHussiane in the light of their lingual thinking, which is represented in the new and old. He showed their differences in the lingual method, the issue of meaning and pronunciation and the Arabic letter and its problem. Also, their difference in their

teaching methods, and their call to facilitate grammar. As for the mutual points that the researcher talked about, were in their defense to the Arabic Language, their rejection to the call of the colloquial language and Latin letters, and a side in their call to facilitate the Arabic grammar.

The researcher illustrated in the conclusion the most important results this study has achieved.